عصارة القلم

في ذكر الله وجوامع الحكم

جمعها واعتنى بها

محمد الطيب بن محمد اليوسف

إصدار لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي بمحافظة الطائف

الطبعة الأولى / 1424هـ - 2003 م

عُصَارَةُ القَلَمْ

في ذِكْرِ اللّه وجوامع الحكم

جمعها واعتنى بها

محمّد الطّيّب بن محمّد اليوسف

المقدّمة

بقلم الدكتور / محمَّد بن عبد الرَّحمن الأهدل

الأستاذ بجامعة أمّ القرى

إنَّ هذه المختارات الأدبيّة ، والمقتطفات الشّعريّة لتطلّ بك عن كثب على أحوال الزّمان وغيره ، وعلى طبائع النّاس وتقلّباتهم ، وفيها من جواهر الحكم ، وبدائع الكلم ما يشنّف المسامع ، ويستهوي اللبّ ، ويطرب لها كلّ عليم بلغة الضّاد ، فهذه المختارات أشبه بالماء ، تتلوّن بلون الإناء ، وتتشكّل بأشكال أفكار القرّاء ، فكلّ يغترف منها بحسب قابليّته ، ويرتشف من حميّاها بمقدار غور فكره ، قد أزهرت رياضها بكلّ شيء ، وهي متنفّس الأريب الألمعيّ ، تهدي النّاظر في رياضها متعة المنادمة ، وأنس المسامرة ، وتجارب الفضلاء ، ونصائح الحكماء ، في أسلوب البلغاء ، وإهاب الأدباء .

وبنظرة فاحصة في هذه المقطّعات نجد أنّها على تنوّع أغراضها ، وتشعّب مراميها ، فإنّه يوحّد بينها سموّ الأسلوب ، ويربط بين مواضيعها نبل الهدف ، وبراعة التّصوير ، وحسن المحتوى ، ودقّة الاختيار ، لعيون الأشعار ، وهذه الدّقّة لا يبلغ شأوها إلاّ الذوّاقة للأدب العالي ، العلاّمة بأسرار بنت عدنان ، ولا غرو فإنّ جامع شتاتها ، وناظم حبّاتها في سمط الاصطفاء ، هو شيخنا المتفنّن ، الأديب المتقن ، والفقيه المتمكّن ، الشّريف المنصف ، والقاضي المتعفّف ، الشّيخ محمَّد الطيّب اليوسف ، فهو الّذي

استخرج هذه العقود اللؤلؤيّة بأنامل فكره ، وجمّع شتيتها من مختلف الدواوين ، وكان أطال الله في مدّته قد اصطفى هذه المقطّعات لنفسه ، ليلجأ إلى نسيم ترويحها إذا لفحته هواجر الأعمال ، وتباسطه إذا آب مكدود الفكر من عزمات الجدّ ، وتسليه إذا طغت موجات الهموم ، ثمَّ ارتأى بثاقب فكره ، أن يعمّ نفعها بنشرها ، لتكون متنزّه الألبّاء ، ومنتجع الفضلاء ، ثُمَّ إِنَّ القاضي رفع الله مكانته طويل الباع في هذا الميدان ، له القدح المعلّى في هذا الشأن ، ولديه حافظة قويّة ، وحصيلة أدبيّة تنمّ عن ذلك ، وقد كنت أمللت عليه في داره العامرة بعض المقطعات من مختاراته فكان يسبقني إلى إنشادها ، ويدني لي أزاهيرها ، حتّى اعتقدت أنّهُ يستظهرها ، وربما أضافها معها ، وهذا مع كبر سنّه ، وتوارد أمراض عديدة على ذهنه ، وما جاريته في بعض اجتماعاتنا في باب من أغراض الأدب إلاّ وافاني بما لا أحفظ ، وطارحني بما لا أحسن ، وهو فوق ذلك من تولّى منصب القضاء ، وتحلّى بحلية الفقهاء ، تزيّنه ملكة الاطّلاع على ما خفي من دقيق الأحكام ، فكم رفع قناع المعضلات بصائب فقهه ، وأصلح بين الخصمين بخالص صدقه ، وسداد رأيه ، وهو حفظه الله كما عرفه كلّ زائريه عالم بمراتب النّاس ومنازلها ، محتشم المحادثة ، مهذّب المقالة والملاقاة ، عذب المفاكهة ، عفيف اللّسان ، نديّ الكفّ ، محسن إلى المحتاجين ، سبّاق إلى معالي الأمور ، هذا مع تواضع ولين جانب ، للأقارب الأدنين والأجانب .

وإذا تفاخرت الرّجال بماجد ۞ فاقت شمائله على أترابه

وله مكتبة زاخرة بجميع الفنون الشرعيّة والأدبيّة وغيرهما ، وفيها من المصادر ما لا تحصيه الأنظار ، وقد أربت على خمسة وثلاثين ألفًا من المؤلّفات ، بين مجلّدة ورسالة ، ولا زال يطرّزها بكل إصدار جديد ، وهو ينفق عليها بسخائه المعهود ، وقد فتح أبوابها لطلبة العلم وكلّ باحث ، فجزاه الله تعالى خير ما يجزي الصّالحين .

❁❁❁

اختيارات

الحمد لله ربِّ العالمين ، والعاقبة للمتّقين ، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمَّد ؛ خاتم الأنبياء والمرسلين ، وبعد :

فهذه قطع شعريّة ، ونتف وقصائد فيها حكم وعبر اخترتها من محفوظاتي القديمة ، ليستفيد منها الواقف عليها .

والمختارات تكشف عقل صاحبها ، وتدلّ على هدفه في الحياة .

وكنت أنوي ترتيبها ، وضمّ كلّ قطعة إلى ما يناسبها ، وتبويبها ، إلاّ أنّ حصول ضعف مفاجئ في بصري حال دون ذلك ، وأحببت تبييضها بدون ترتيب ، لأنّ حفظها خير من ضياعها .

ومعذرة إلى القارئ الكريم من بعض الأخطاء المطبعيّة الّتي لم أتمكّن من تلافيها ، ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ .

المؤلِّف

محمَّد الطّيّب بن محمَّد بن يوسف اليوسف

***

العقيدة

أحببت أن أفتتح هذا الكتاب بذكر العقيدة السّلفيّة ، لأنّ العقيدة هي الحجر الأساسي لكلّ نهضة علميّة ، فأثبتّ هنا قصيدة شيخي وأستاذي الدّاعية والمحدِّث الشّيخ / محمَّد عبد الظّاهر أبو السّمح إمام وخطيب المسجد الحرام بمكّة ، والمدرّس فيه ، ومؤسّس مدرسة دار الحديث بمكّة ، ومديرها والمدرّس فيها ، فجزاه الله خير الجزاء على جهاده في نشر العقيدة السّلفيّة ، ورحمه الله ، وأسكنه فسيح جنّاته .

لأنّ هذه القصيدة تعرض العقيدة الإسلاميّة كما فهمها السّلف الأوّل من الصّحابة والتّابعين ، والأئمة الأربعة ، وكبار أصحابهم ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وهذه هي القصيدة :

قولوا لمن يدعو سوى الرّحمن ۞ متخشّعًا في ذلّة العبدان

يا داعيًا غير الإله ألا اتئد ۞ إنَّ الدعاء عبادة الرّحمن

يا داعيًا غير الإله تقرّبا ۞ في زعمه للواحد الديّان

أنسيت أنّك عبده وفقيره ۞ ودعاؤه قد جاء في القرآن

اللّه أقرب من دعوت لكربة ۞ وهو المجيب بلا توسّط ثان

هل جاء دعوة غيره في سنّة ۞ أم أنت فيه تابع الشّيطان

إن كنت فيما تدّعيه على هدى ۞ فلتأتنا بسواطع البرهان

واللّه ما دعت الصّحابة غيره ۞ يتقرّبون به كذي أوثان

لكــن هــذا الفعــل كــان لديهمــوا ۞ شـــركًا وفـــرّوا منـــه للإيمـــان
ليـــس التوسّـــل والتقـــرّب بـــالهوى ۞ بـــل بـــالتّقى والـــبرّ والإحســـان
هـــذا كتـــاب اللّــه يفصـــل بيننـــا ۞ هـــل جـــاء فيـــه توسّـــلوا بفـــلان
إنَّ التوسّـــــل في الكتـــاب لواضـــح ۞ وإذا فطنـــــت فإنّـــــه نوعـــــان

التوسّل الشّركيّ

فتوسّـــل للمشـــركين بســـورة الا ۞ ســـرا قـــل ادعـــوا ليـــس ذا كتمـــان
وبســـورة الزّمـــر اتـــل أوّلها تجـــد ۞ نصًّـــا صريحًـــا واضـــح التّبيـــان

اعتراف المشركين بتوحيد الرّبوبيّة

ولئـــن ســـألت المشـــركين مـــن الّـــذي ۞ ذرأ البريـــة مالـــه مـــن ثـــان ؟
قـــالوا جميعًـــا ربّنـــا لكنّهـــم ۞ لم يفـــردوه بخـــالص القربـــان
وخلاصـــة الزّلفـــى لديهـــم أنّهـــم ۞ يدعـــون غـــير اللّـــه بالإحســـان
ولقـــد أتـــى في الذّكـــر أنّ دعـــاءهم ۞ في الكـــرب كـــان لربّنـــا الرَّحمـــن
وإذا أتـــى فـــرج وشـــاموا برقـــه ۞ عـــادوا إلى الكفـــران والعصيـــان
لكـــن قومـــي في الرّخـــاء وضـــدّه ۞ يدعـــون غـــير اللّـــه بالإحســـان
يدعـــون أمواتًـــا غـــدوا تحـــت الـثّرى ۞ مـــا إن لهـــم في ذا الـــورى مـــن شـــان
واللّـــه كاشـــف كـــلّ كـــرب قـــادر ۞ وســـواه ذو عجـــز فقـــير فـــان

بيان العبادة وإقامة الحجّة على المشركين

أوليــس نــذرك للإلــه عبــادة ۞ أنّــى يكــون لغــير عــالي الشــأن
وكــذاك نحــرك والدّعــاء عبــادة ۞ لا تبتغــي لفلانــة وفــلان
فعبــادة المخلــوق تأليــه لــه ۞ عقــلاً ونقــلاً واضــح التّبيــان
أفبعــد هــذا تســتغيث بميــت ۞ وتصــدّ عــن حــيّ سميــع دان
وتــروح تدعــو الأوليــاء تألّهــا ۞ وتقــول يــا بــدوي يــا جيلانــي
يدعونهــم متوسّــلين بزعمهــم ۞ ودعــاؤهم شــرك بنــص قــرآن
شــادوا عليهــا بعــد تصويــر لهــا ۞ قببًــا تشــابه هيكــل الأوثــان
وتراهمــوا وقفــوا لديهــا خشّــعا ۞ ودموعهــم تجــري علــى الأذقــان
طــافوا بهــا سجدوا لهــا وتمرّغــوا ۞ في تربهــا بغوايــة الفتــان
وجميــع مــا عبــد الإلــه بــه لقــد ۞ عبــدوا بــه الأصنــام بالإحســان
كــالخوف مــن بطــش الــوليّ وسخطه ۞ إن لم يفــوا بــالنّذر والقربــان
وجميــع هــذا الشّــرك باســم توسّــل ۞ فعلــوه وهــو نهايــة الكفــران
وإذا فهمــت توسّــل الشّــرك الّــذي ۞ بيّنتــه فــافهم بيــان الثّــاني

٦٠

الوسيلة الإيمانيّة

شــيئان إيمــان وفعــل صــالح ۞ وهمــا بــآي الذّكــر مقترنــان
ولكــم أعيــدا في الكتــاب وسنّة ۞ كــي (يعلمــا للصــمّ والعميــان)

وتقوم حجّة ذي الجلال عليهمو ۞ ويبوء أهل الشّرك بالخسران

واقرأ إذا ما شئت أقصر سورة ۞ كالعصر أو طولى من القرآن

فإذا أردت توسّلاً حقًّا فخذ ۞ بهما ولا تسمع لقول فلان

فعليهما وعد الإله بجنّة ۞ ونعيمها أبداً مع الرّضوان

وعليهما وعد الورى طيب الحياة ۞ بهذه الدُّنيا مع الغفران

واللّه أولى أن نطيع كتابه ۞ ورسوله المبعوث للتبيان

ثقلت على النّاس الفعال فيمّموا ۞ نصبًا تقرّبهم بلا حسبان

واستأنسوا بدعائها واستوحشوا ۞ ممّا يقرّبهم إلى الرَّحمن

وأمدّهم في ذا الضّلال مشايخ ۞ باعوا الجنان بأبخس الأثمان

من كلّ (أعمى) كالحمار جهالة ۞ وغباوة يمشي بغير عنان

وأخي ضلال ليس يدري ما الهدى ۞ إلاّ شقاشق حاكها بلسان

أو مدّع للعلم وهو مجرّد ۞ واللّه من علم ومن إيمان

(العلم قال اللّه قال رسوله) ۞ ليس الكلام ومنطق اليونان

كلاّ ولا تقليد ذي علم مضى ۞ من غير ما عقل ولا برهان

إن كنت لم تسعد برؤية أحمد ۞ أفديه بالأهلين والولدان

فاسعد حياتك باستماع حديثه ۞ ولتحظ منه بحفظ ذي إتقان

من كان ذا حبّ لأحمد فليقم ۞ برهانه بالسّمع والإذعان

توحيد الإلهيّة

هـذا وتوحيـد الإلـه بطاعـة ۞ هـو محـور الإسـلام والإيمـان
وهـو الّـذي قـد ضـلّ عنـه خلائـق ۞ وتفرّقـوا مـن سـالف الأزمـان
ومـع اعـترافهم الصّريـح بأنّـه ۞ ربّ الـورى مـا أن لـه مـن ثـان
عبـدوا سـواه بكـلّ مـا هـو حقّـه ۞ باسـم التوسّـل وهـو للشّـيطان
فـاحذر فديتـك أن تضـلّ ضلالهـم ۞ وتمسّـكن مـا عشـت بـالقرآن
وبسـنّة المختـار فهـي بيانـه ۞ وسـواهما ضـرب مـن الهذيـان

توحيد الأسماء والصّفات

وإليـك توحيـد الصّفـات فـاثبتن ۞ للّـه مـا قـد أثبـت الوحيـان
مـن غـير تكييـف ولا تـأويل ذي ۞ جهـل أخـي جهـم بـلا برهـان
وإذا نفـى الوحيـان وصفـًا فإنّـه ۞ مـن غـير مـا زيـد ولا نقصـان
هـذي عقيدتنـا الّـتي أسـلافنا ۞ كـانوا عليهـا ثـابتي الإيمـان

.

توحيد الرّبوبيّة

وإذا علمـت بأنّـه لا بـدّ مـن ۞ ربّ قديـر خـالق الأكـوان
يعطـي ويمنـع واحـد في صنعـه ۞ مـا إن لـه في خلقـه مـن ثـان

فالمشركون جميعهم نطقوا بذا التـ ❁ ـوحيد في آي من القرآن
لكنّه لم يغن عنهم إذ أبوا ❁ من جهلهم أن ينطقوا بالثّاني
وهو الّذي أرسل الرّسل الكرام دعوا له ❁ من عهد نوح صاحب الطّوفان
ودعا له خير الخلائق أحمد ❁ ببليغ آيات وحدّ سنان
قالوا اعبدوا ربّ الورى يا قومنا ❁ فهو الإله الحقّ ذو الغفران
وبما يجب تقرّبوا من صالح الأ ❁ عمال والإيمان لا الأوثان
وقد اعترفتم أن ربّكم الّذي ❁ خلق الورى ذو الفضل والإحسان
فهل الألى تدعونهم من دونه ❁ أرجى وأرحم يا ذوي الأذهان
اللّه أرحم من رءوم بابنها ❁ وهو القريب الحيّ ليس بفان
فعصى فريق قلّدوا آباءهم ❁ وقد اهتدى ذو العقل والإيمان
وأتى فريق الشرّ ما سخروا به ❁ من نقمة ونجا ذوو الشّكران

تقريع الجاحدين

وقد استبان لمن أراد هداية ❁ أنواع توحيد بلا كتمان
فإذا ابتليت بجاحد ومعاند ❁ أعمى البصيرة ميّت الوجدان
ويقولوا لا فرق هناك فقل له ❁ لا فرق عند (الصمّ والعميان)
أما الألى بصروا ففرق عندهم ❁ بين الثّلاث بمحكم القرآن
ولذا أقام اللّه ما اعترفت به ❁ فرق الضّلال أدلّة للثّاني

شكر النّعمة

حمـــداً لربّـــي إذ هدانـــي منّـــة ❁ منـــه وكنـــت علـــى شـــفا النّـــيران
واللّـــه لـــو أنّ الجـــوارح كلّهـــا ❁ شـــكرتك يـــا ربّـــي مـــدى الأزمـــان
مـــا كنـــت إلاّ عـــاجزاً ومقصّـــراً ❁ في جنـب شـكرك صـاحب الإحسـان
أيّدتـــني ونصرتـــني وحفظتـــني ❁ مـــن كـــلّ ذي حقـــد وذي شـــنآن
وخذلـــت أعدائـــي ولم تـــتركهمو ❁ يمضـــون في الإيـــذاء والعـــدوان
أورثتـــني الذّكـــر الحكيـــم تفضّـــلا ❁ ورزقتـــني نعمًـــا بـــلا حســـبان
ورفعـــت ذكـــري إذ أرادوا خفضـــه ❁ وأتيـــت بـــي في أشـــرف البلـــدان
وأقمتـــني بـــين الحطيـــم وزمـــزم ❁ للمتّقـــين أؤمهـــم بمئـــان
أكرمتـــني وهديتـــني وهديـــت بـــي ❁ مـــا شـــئت مـــن ضـــال ومـــن حـــيران
أعليـــك يعـــترض الحســـود إلهنـــا ❁ وهـــو الكنـــود وأنـــت ذو الإحســـان
وهـــو الظّلـــوم وأنـــت أعـــدل عـــادل ❁ حاشـــاك مـــن ظلـــم ومـــن طغيـــان
لـــولا عطـــاؤك لم أكـــن أهـــلاً لـــذا ❁ كـــلاّ ومـــا إن كـــان في الإمكـــان
فـــأتمّ نعمتـــك الّـــتي أنعمتهـــا ❁ يـــا خـــير مدعـــوّ بكـــلّ لســـان
واختـــم لعبـــدك بالسّـــعادة إنّـــه ❁ يرجـــوك في ســـرّ وفي إعـــلان
وأبحـــه جنّـــات النّعيـــم ورؤيـــة الــــ ❁ ـــوجه الكريـــم بهـــا مـــع الإخـــوان
وانصـــر أخـــا التّوحيـــد ســـيّد يعـــرب ❁ (عبـــد العزيـــز) علـــى ذوي الأوثـــان
واضـــرب رقـــاب الغـــادرين بســـيفه ❁ وأذقهـــم الســـوءى بكـــلّ مكـــان
واحفـــظ لنـــا آل السّـــعود جميعهـــم ❁ أنصـــار إســـلام مـــدى الأزمـــان
وأدم صلاتـــك والسّـــلام علـــى الّـــذي ❁ أرســـلته بشـــرائع الإيمـــان
والآل والأصحـــاب مـــا نجـــم بـــدا ❁ والتّـــابعين لهـــم علـــى الإحســـان

❁❁❁

تحميدات وتسبيحات ومناجاة

قال أحمد بن عبد العزيز الهلاليّ (١)

لك الحمد كلّ الحمد يا راحم الضّعف ۞ ويا دائم الإحسان والرّفق واللطف

لك الحمد ثُمَّ الشّكر دون نهاية ۞ على نعم جلّت عن العدّ والوصف

صرفت من الأسواء ما لا يطيقه ۞ مطيق فأنت اللّه ذو الكرم الصّرف

وجدت وأسديت الجميل تفضّلا ۞ وزدت من الإنعام ضعفًا على ضعف

لك الملك يا قهّار والأمر كلّه ۞ إذا قلت كن كان المراد بلا خلف

إليك مددنا الكفّ كيما تمدّنا ۞ بما نرتجي يا مالك البسط والكف

فعاف وداف واحم يا ربّ واكفنا ۞ بحفظك ما نخشى فغيرك لا يكفي

وأبق علينا السّتر في كلّ حالة ۞ بفضلك في الدُّنيا والأخرى بلا كشف

وأعظم وأعزز يا عزيز جنابنا ۞ وحطنا من الخذلان والضّيم والخسف

وزدنا من الخيرات فوق مرامنا ۞ بفضلك يا مولى تعالى عن الكيف

۞۞۞

---

(١) نقلاً من كتاب « النّبوغ المغربي » للشّيخ عبد الله كنون ، ص٣٠٨ ، ٣٠٩ .

تحميدات الشّيخ عبد الرّحيم البرعي

يا الله

لك الحمد حمداً نستلذّ به ذكراً ۞ وإن كنت لا أحصي ثناء ولا شكرا

لك الحمد حمداً طيّبا يملأ السما ۞ وأقطارها والأرض والبرّ والبحرا

لك الحمد حمداً سرمديًّا مباركًا ۞ يقلّ مداد البحر عن كنهه حصرا

لك الحمد تعظيمًا لوجهك قائمًا ۞ بحقّك في السّراء منّي وفي الضّرّا

لك الحمد مقرونًا بشكرك دائمًا ۞ لك الحمد في الأولى لك الحمد في الأخرى

لك الحمد موصولاً بغير نهاية ۞ وأنت إلهي ما أحقّ وما أحرى

لك الحمد يا ذا الكبرياء ومن يكن ۞ بحمدك ذا شكر فقد أحرز الشّكرا

لك الحمد حمداً لا يعدّ لحاصر ۞ أيحصي الحصى والنّبت والرّمل والقطرا

لك الحمد أضعافًا مضاعفة على ۞ لطائف ما أحلى لدينا وما أمرا

لك الحمد ما أولاك بالحمد والثّنا ۞ على نعم أتبعتها نعمًا تترى

لك الحمد حمداً أنت وفّقتنا له ۞ وعلّمتنا من حمدك النّظم والنّثرا

لك الحمد حمداً نبتغيه وسيلة ۞ إليك لتجديد اللّطائف والبشرى

لك الحمد كم قلّدتنا من صنيعة ۞ وأبدلتنا بالعسر يا سيّدي يسرا

لك الحمد كم من عثرة قد أقلتنا ۞ ومن زلّة ألبستنا معها سترا

لك الحمد كم خصصتني ورفعتني ۞ على نظرائي من بني زمني قدرا

لك الحمد حمداً فيه وردي ومشرعي ۞ إذا خابت الآمال في السّنة الغبرا

لك الحمد حمداً ينسخ الفقر بالغنى ۞ إذا حزت يا مولاي بعد الغنى فقرا

إلهي تغمّدني برحمتك الّتي ۞ وسعت وأوسعت البرايا بها برّا

وقوّ بروح منك ضعفي وهمّتي ۞ على الحقّ واغفر زلّتي واقبل العذرا

فإنّي من تدبير حالي وحيلتي ۞ إليك ومن حولي ومن قوّتي أبرا

فصن ماء وجهي فالسّؤال مذلّة ۞ وعن جور دهر لم يزل حلوه مرّا

ولاطف أطيفالي وإخوتهم فقد ۞ رمتهم خطوب ما أطاقوا لها الصَّبْرا

وهم يألفون الخير والخير واسع ۞ لديك ولا واللّه ما عرفوا شرّاً

ربوا في ربى روض النّعيم وظلّه ۞ فجدّد لهم من جودك النّعمة الخضرا

ومن محن الدُّنيا والأخرى تولّهم ۞ بخير ويسّرهم بفضلك لليسرى

وهبني لهم أسعى عليهم مجاهداً ۞ لوجهك وافسح لي بطاعتك العمرا

وبعد حياتي في رضاك توفّني ۞ على الملّة البيضاء والسّنّة الزّهرا

وفي القبر آنس وحشتي عند وحدتي ۞ فإنّ نزيل القبر يستوحش القبرا

وإن ضاق أهل الحشر ذرعًا لموقف ۞ به الكتب تعطى باليمين واليسرى

فأكرم لأجلي من يليني رحامة ۞ وصحبا وفرّج همّنا واغفر الوزرا

ولا تبقِ لي ممّا نويت علاقة ۞ ولا حاجة كبرى ولا حاجة صغرى

وصلِّ على روح الحبيب محمَّد ۞ حميد المساعي منتقى مضر الحمرا

صلاة وتسليمًا عليه ورحمة ۞ مباركة تنمو فتستغرق الدّهرا

وتشمل كلّ الآل ما هبّت الصّبا ۞ وما سرت الرّكبان في اللّيلة القمرا

وله أيضًا رحمه الله :

لك الحمد يا مستوجب الحمد دائمًا ✿ على كلّ حال حَمْدَ فَانٍ لدائم
فسبحانك اللّهم تسبيح شاكر ✿ لمعروفك المعروف يا ذا المراحم
فكم لك من ستر على كلّ خاطئ ✿ وكم لك من برّ على كلّ ظالم
وجُودك موجود وفضلك فائض ✿ وأنت الّذي ترجى لكشف العظائم
وبابك مفتوح لكلّ مؤمّل ✿ وبرّك ممنوح لكلّ مصارم
فيا فالق الإصباح والحبّ والنّوى ✿ ويا قاسم الأرزاق بين العوالم
ويا كافل الحيتان في لجّ بحرها ✿ ويا مؤنسًا في الأفق وحش البهائم
ويا محصي الأوراق والنّبت والحصى ✿ ورمل الفلا عداً وقطر الغمائم
إليك توسّلنا بك اغفر ذنوبنا ✿ وخفّف عن العاصين ثقل المظالم
وحبّب إلينا الحقّ واعصم قلوبنا ✿ من الزّيغ والأهواء يا خير عاصم
ودمّر أعادينا بسلطانك الّذي ✿ أذلّ وأفنى كلّ عات وغاشم
ومنّ علينا يوم ينكشف الغطا ✿ بستر خطايانا ومحو الجرائم
وصلِّ على خير البرايا نبيّنا ✿ محمّد المبعوث صفوة آدم

✿✿✿

تسبيحات ابن عاصم [1]

سبحان من أظهر الأنوار واحتجبا ❀ وكلّ حمد وتمجيد له وجبا

إذا ابتغى العقل في إدراكه سببا ❀ جاء الحجاب فألقى دونه الحجبا

حتّى إذا ما تلاشى عندها ظهرا

سبحان من كان والأكوان لم تكنِ ❀ في غير أين ولا وقت ولا زمن

حتّى أتى الجود بالإيجاد والمنن ❀ وكلّ ما قد رسمناه بما ومنِ

وأظهر الشّمس ذات النّور والقمرا

سبحان من حجب الأبصار فاحتجبت ❀ وكم أراد مريد نيلها فأبت

من حدّثته أمانيه فقد كذبت ❀ حقيقة ذاتها عن ذاتها وجبت

لا يدرك العقل من أخبارها خبرا

سبحان من شأنه في شأنه عجب ❀ يخفى فيظهر أو يبدو فيحتجب

يا أيّها العاكفون السّادة النّجب ❀ هل فيكم من سعى سعيًا كما يجب

ففاز بالغرض المطلوب أو ظفِرا

سبْحان من لم يزل بالعلم منفردا ❀ ومن تعالى عن الأشباه فاتّحدا

سبحانه وتعالى واحداً صمدا ❀ تبارك اللّه لم يولد ولم يلدا

تنزّه اللّه عمّا يلحق البشرا

---

(١) ابن عاصم : هو الوزير القاضي أبو يحيى محمَّد بن عاصم ، من علماء الأندلس .
نقلاً من كتاب « أزهار الرِّياض » : ١٧٩/١ .

سبحان من أخرج الموجود من عدمٍ ۞ رسمًا بـرى كونـه في غـير مرتسـم
فـلا محـلّ سـوى كنـه مـن الكلـم ۞ ولم يـزل هـو في ديمومـة القـدم
مؤثّـراً بخلـق التّأثـير والأثـرا

سبحان من خلق الأشياء أجمعها ۞ فمـن رآهـا رأى أفعالـه مُعهـا
وكـان أتقنهـا صنعًـا وأبدعهـا ۞ نفـس إلى العـالم العلـويّ رفعهـا
وخصّهـا مـن معاليـه بمـا بهـرا

سبحان من عمّ بالإنعام ما خلقا ۞ وشـفع العـدل بالإحسـان فاتّفقـا
وزاد بـالذّكر في قلـب التّقـيّ تقـى ۞ فاستكمل الدّيـن والإيمـان والخلقـا
وكـان مدركـه الصّدّيـق أو عمـرا

سبحان مـن سـبّحته كـلّ سـابحة ۞ وكـلّ عائمـة في المـاء سـائحة
وكـلّ غاديـة تغـدو ورائحـة ۞ وسـبحته خطايـا كـلّ جانحـة
لم تعرف السرّ حتّى جاوزت صورا

سبحان مـن حمدتـه ألسـن البشـر ۞ في السـرّ والجهـر والآصال والبكـر
وفي دجى تشدو نصف الليل والسّحر ۞ بالشـكر والذّكـر والآيـات والسّـور
توليـه حمـداً وتتلـو بعـده سـورا

سـبحان مـن نزّهتـه ألسـن عزفـت ۞ عن كلّ ما يوهم التّشبيه إذ وصفت
صفا لها مورد التّحقيق حين صفت ۞ فلـم تفارقـه حتّـى أثبتـت ونفـت
ولم تـدع شـبهة تـؤذي ولا ضـررا

سبحان من شكره في الدّين مفترضٌ ۞ وليـس يشـبهه جسـم ولا عـرض
ينهـى ويـأمر مـا في ذا وذا غـرض ۞ فـاذكر لنعماه ذكـراً ليـس ينقـرض
فمـن تحـدّث بـالنّعمى فقـد شـكرا

سبحان من خضع السّبع الطّباق له ۞ وأعظمته قلوب حشوها وله
تريد أن تعلم الأبقى وتعقله ۞ طوبى لمن أمّل الأبقي وأمّ له
واستكثر الزاد لّما آنس السّفرا

سبحان من زيّن الأفلاك بالشّهب ۞ وبيّن الدّين بالآيات والكتب
ولم يدعنا لدى لهو وفي لعب ۞ لكن نهانا وآتانا على الرّتب
حتّى انتهينا وأذعنّا لما أمرا

سبحان من جعل الأشياء تختلف ۞ فتارة تتناءى ثُمَّ تأتلف
هذا الظّلام بنور الصّبح ينصرف ۞ كما الضّلال لنور العلم لا يقف
فسله نوراً ينير السّمع والبصرا

سبحان من خلق الأخلاقا والخلقا ۞ والشّمس والبدر والظّلماء والغسقا
يروقك الكلّ مجموعًا ومفترقا ۞ وانظر لنفسك واسلك نحوه طرقا
فأسعد النّاس من في نفسه نظرا

سبحان منزل ماء المزن في المطر ۞ يروي النّبات ويسقي يانع الثّمر
كأنّما الزّهر تهديه إلى الزّهر ۞ إذا رأيت تلاقيها على قدر
رأيت صنع قدير أحكم القدرا

سبحان من قدّر الأقوات والأجلا ۞ وتابع الوحي واستتلا به الرّسلا
فمنْ تعدّى حدود الفوق قيل غلا ۞ ومن تجوّز منحطًّا فقد سفلا
ومن تخطّى خطوط المنتهى كفرا

سبحان من فجّر الأنهار فانفجرت ۞ وقدّر الخير في إجرائها فجرت
فزينة الأرض بالأزهار قد ظهرت ۞ وللبصيرة عين كلّما نظرت
رأت جمالاً وإجمالاً ومعتبرا

سبحان من خلق الإنسان من علق ۞ وأعقب اللّيلة الليلاء بالغسق
يا بهجة الشّمس دوني عذت من فلق ۞ ويا سنا البدر عارض حمرة الشّفق
حتّى تعيد لنا من ليلنا سحرا

سبحان من علّم الإنسان بالقلم ۞ وسلّط الهمّ والبلوى على الهمم
فقاومتها جنود الصّبر والكرم ۞ ثُمَّ ابتلى قلب غير العارف الفهم
فما أطاق ولا أوفى ولا صبرا

سبحان من خلق الإنسان من عجل ۞ فليس يمشي إلى شيء على مهل
ولا يقول سوى هذا وذلك لي ۞ مقسم الحال بين الحرص والحيل
فليس تلقاه إلاّ ضارعًا حذرا

سبحان من زانه بالعلم والأدب ۞ وبالفضائل والإيمان والطّلب
فلا يزال حليف الفكر والتّعب ۞ رام الكمال فلم يبلغ ولم يخب
ولم يرد بعد في رِيٍّ ولا صَدَرا

سبحان من شانه بالكبر والأشر ۞ يمشي ويصبح في غي وفي بطر
مردّد العزم بين الجبن والخور ۞ لا يستفيق من الشّكوى إلى البشر
ولا يزحزح عن ظلم إذا قدرا

سبحان محرقه في وقدة الحسد ۞ فلا يزال أخا غيظ وفي نكد
كالبحر يرمي إلى العينين بالزَّبد ۞ إذا رأى أثر النّعمى على أحد
يودّ لو كان أعمى لا يرى ضجرا

سبحان من أمر الأرواح فأتمرت ۞ ثُمَّ استديمت فلم تنهض بما أمرت
وكلّ نفس إذا سامحتها فجرت ۞ فلا تصلها إذا خانتك أو غدرت
واقطع علائق من قد خان أو غدرا

سبحان من بسط التّعليم ثُمَّ طوى ۞ فأعقب القلب وجدا دائمًا وهوى
وذاب في ملتظى أشواقه وذوى ۞ وكان أزمع واستوفى المنى ونوى
حجا فلمّا أتى ميقاته حصرا

سبحان من في بساط العدل أجلسنا ۞ وباغتفار عظيم الذّنب آنسنا
وزان بالعلم والإيمان أَنْفُسَنا ۞ فكان أعظمنا قدراً وأَنْفَسُنا
من انتهى أو نهى أو خاف فازدجرا

سبحان من خصّ بالإيمان أنفُسنا ۞ وخافه من عذاب النّار أنفَسُنَا
لولاه لم نعرف المعروف والحسنا ۞ ولا استفدنا لسانًا ناطقًا لَسِنا
ولا درينا أباح الشّرع أو حظرا

سبحان من جعل الإيمان بالقدر ۞ والحشر والنّشر منجاة من الضّرر
فلا خلود مع الإيمان في سقر ۞ ولا وصول إلى أمنٍ بلا حذر
حتَّى تكون لأمر اللّه مؤتمرا

سبحان من إن يشأ أعطاك أو منعا ۞ ومن إذا شاء أمراً حادثًا وقعا
وتارة يخفض الأمر الّذي رفعا ۞ يومًا يفرّق للإنسان ما جمعا
ولا يبالي بمن أثرى ومن خسرا

سبحان من هو يوم الفصل يجمعنا ۞ وللنّعيم بفضل منه يرفعنا
من بعد رؤية أهوال تروعنا ۞ يرى لها والِهًا هيمان أورعنا
حيران عريان يبدي كلّ ما سترا

سبحان من ختم الأديان في الأزل ۞ بالملّة السّمحة البيضاء في الملل
أتى بها خير مأمور وممتثل ۞ محمّد خاتم السّادات والرّسل
وخير من حجّ بيت اللّه واعتمرا

إذا وصفنـــا فبالتّقصـــير نعـــترف ۞ فكـــلّ لفـــظ بليـــغ دونـــه يقـــف
هـــو النـــبيّ الّـــذي في ذكـــره شـــرف ۞ فـــإن طلبـــت رضـــاه بـــالّذي تصـــف
فكن علـى وصفـه في الذّكـر مقتصـرا

صلّـى الإلــه عليــه مــا بـدا قمــر ۞ ومــا سـرت في الديـاجي أنجـُمٌ زهـر
ومـــا تبـــاينت الأشـــكال والصّـــور ۞ ومـــا تدورســـت الآيـــات والسّـــور
وما قضى مؤمـن مـن حاجـة وطـرا

سـبحان مـن شـاء في الدُّنيـا سـعادتنا ۞ بطاعـــة أحســـنت منـــا إرادتنـــا
ويبتلينـــا ويســـتحلي عبادتنـــا ۞ حتّـى إذا شـاء في الأخـرى إعادتنـا
أعادنـا مثـل مـا كنّـا كمـا ذكـرا

سـبحان مـن يحشـر الإنسـان مكتئبـا ۞ خـوف الجـزاء ويجزيـه بمـا كسـبا
ويحكـم الحكـم يمضيـه كمـا وجبـا ۞ فالقاســـطون إلى نيرانـــه عصبـــا
والمقســـطون إلى جنّاتـــه زمـــرا

سـبحان مـن فضّـل الإسـلام في الأمـم ۞ بـالطيّب الطّـاهر المبعـوث في الحـرم
محمَّـد خـير مـن يمشـي علـى قـدم ۞ إذا عـددت بيـوت المجـد والكـرم
فمنـــه حتّـى إلى عدنـان أو مضـــرا

۞۞۞

قال محمَّد بن إسماعيل الأمير [1]

قال عبد مسّه طول الضّرب ❊ يأمر النّفس بخير منتظر
قف على الباب إذا كان السّحر ❊ وإذا جنّ ظلام واعتكر
واقرع المغلق منه بالدّعا ❊ فالدّعا مفتاح أبواب الظّفر
وليكن حال سجود إنّه ❊ أقرب الأحوال من ربّ القدر
قل على الباب فقير سائل ❊ سائل الدّمع ضعيف محتقر
قلت ادعوني أستجب يا حبّذا ❊ وعد الخير وبالخير أمر
فمن استكبر عنه داخل ❊ داخر من بعد هذا في سقر
وقريب ومجيب للدّعاء ❊ إن أسرَّ العبد حينًا أو جهر
فالدّعا مخّ العبادات كما ❊ جاءنا نصّ بهذا في الخبر
يغضب الربّ على ترك الدّعاء ❊ عكس ما يُعرف من طبع البشر
ومع العبد إلـه إن دعا ❊ ولمن يدعو ويرجوه غفر
أمر العبد بأن يطلبه ❊ كلّما يرجوه من أي وطر
إنَّ للدّاعي منه خصلة ❊ من ثلاث صحّ في هذا الأثر
نيْل ما يطلب أو دفع الَّذي ❊ يختشى أو للقاه يدّخر
إنَّ ربّي لكريم يستحي ❊ أن يردّ العبد من غير ظفر
فاسألوا عافية منه ففي ❊ فضلها جاء حديث ابن عمر

---

(١) نقلاً من ديوان الأمير الصّنعاني ، ص١٥٨ ـ ١٥٩ .

يا إلهي أرتجي عافية ۞ من أياديك بها دفع الضّرر
ضرر أضعف ذاتي والقوى ۞ وأنا قد صرت في ضعف الكبر
ثاني الضعفين فالطف وأغث ۞ وارفع السوء بآيات السّور
كم إغاثات وكم من دعوة ۞ قد أجيبت بعد يأس قدْ حضر
كم عليلٍ صحّ من علّته ۞ حمد اللّه تعالى وشكر
إن أيوّب ينادي ربّه ۞ مسّني الضّرّ فلم يبق الضّرر
وهب الأهل وأعطى مثلهم ۞ رحمة منه لمن كان صبر
ولذي النّون وقد ناده من ۞ ظلمات البحر إذ فيه استقرّ
حين نجّاه من الغمّ فهل ۞ بعد ذا شكّ لعبد ذي نظر

۞۞۞

ابتهالات وتوجّه إلى ربّ العالمين

بذكرك يا مولى الورى نتنعّم ۞ وقد خاب قوم عن سبيلك قد عموا
شهدنا يقينًا أنّ علمك واسع ۞ فأنت ترى ما في القلوب وتعلم
إلهي تحمّلنا ذنوبًا عظيمة ۞ أسأنا وقصّرنا ، وجودك أعظم
سترنا معاصينا عن الخلق غفلة ۞ وأنت ترانا ثُمَّ تعفو وترحم
إلهي فجد واصفح وأصلح قلوبنا ۞ فأنت الَّذي تولي الجميل وتكرم
لك الحمد عاملنا بما أنت أهله ۞ وسامح وسلّمنا فأنت المسلّم

يا من يرى ما في الضّمير ويسمع ۞ أنت المعدّ لكلّ ما يتوقّع
يا من يرجى للشّدائد كلّها ۞ يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن ملكه في قول كن ۞ امنن فإنّ الخير عندك أجمع
مالي سوى فقري إليك وسيلة ۞ فبالافتقار إليك فقري أدفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة ۞ فلئن طردت فأيّ باب أقرع
ومن ذا الّذي أدعو وأهتف باسمه ۞ إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنّط عاصيًا ۞ الفضل أجزل والمواهب أوسع
بالذّل قد وافيت بابك عالما ۞ إنَّ التذلّل عند بابك ينفع
وجعلت معتمدي عليك توكّلا ۞ وبسطت كفّي سائلاً أتضرّع
فاجعل لنا من كلّ ضيق مخرجا ۞ والطف بنا يا من إليه المرجع

لبست ثوب الرّجى والنّاس قد رقدوا ۞ وبتّ أشكو إلى مولاي ما أجد
وقلت : يا أملي في كلّ نائبة ۞ ومن عليه لكشف الضرّ أعتمد
إليك أشكو أموراً أنت تعلمها ۞ مالي على حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدي للضرّ مبتهلاً ۞ إليك يا خير من مدّت إليه يد
فلا تردّنّها يا ربّ خائبة ۞ فبحر جودك يروي كل من يرد

أتيتك سائلا فارحم عنائي ۞ فعندك يا كريم دواء دائي
فلا أحد سواك إليه أشكو ۞ فيرحم عبرتي ويرى بكائي
فيا مولى الورى جد لي بعفو ۞ ومُنَّ بنظرة فيها شفائي

۞۞۞

شكوى ومناجاة إلى ربِّ العالمين

يـا ربِّ إن عَظُمَـتْ ذنوبـي كـثرة ۞ فلقـد علمـتُ بـأنّ عفـوك أعظـم
إن كـان لا يرجـوك إلاّ محسـن ۞ فمـن الّذي يدعـو ويرجـو المجـرم
أدعـوك ربّ كمـا أمـرت تضرّعـا ۞ فـإذا رددت يـدي فمـن ذا يرحـم
مـا لي إليـك وسـيلة إلاّ الدّعـا ۞ وجميـل عفـوك ثُـمَّ إنّـي مسـلم

فيـا ربِّ فـاقبل توبـتي بتفضّـل ۞ فما زلتَ تعفـو عـن كثير وتمهـل
إذا كنـت تجفونـي وأنـت ذخـيرتي ۞ لمـن أشـتكي حـالي ومـن أتوسّـل
قصـدت إلهـي رحمـة وتفضّـلا ۞ لمـن تـاب مـن زلاّتـه يتقبّـل

يا من يجيب دعاء المضطر في الظُّلم ۞ يا كاشف الضرّ والبلوى مع السّقم
قد قام وفدك حول البيت وانتبهوا ۞ وأنـت يـا حـيّ يـا قيّـوم لم تنـم
أدعـوك ربّـي حزينًـا راجيًـا فرجـا ۞ فـارحم بكـائي إلـه البيت والحـرم
أنـت العفـوّ فجُـدْ لي منـك مغفـرة ۞ واعطف عليَّ بفضل الجـود والكـرم
إن كـان جـودك لا يرجـوه غـير تقـي ۞ فمـن يجـود علـى العـاصين بـالنّعم
هب لي بجودك ما أخطأت من جرم ۞ يـا مـن إليـه أشـار الخلـق بـالكرم

أسـير الخطايـا عنـد بـابك واقـف ۞ علـى وجـل ممّـا أنـت بـه عـارف
يخـاف ذنوبًـا لم يغـب عنـك غيبهـا ۞ ويرجـوك فيهـا فهـو راج وخـائف
فمـن ذا الّـذي يرجـى سـواك ويتّقـي ۞ ومـالك في فصـل القضـاء مخـالف

فيا سيّدي لا تخزني في صحيفتي ۞ إذا نشرت بين الحساب الصّحائف
وكن مؤنسًا في ظلمة القبر عندما ۞ يصدّ ذو القربي ويجفو المؤالف
لئن ضاق عني عفوك الواسع الّذي ۞ أرجّي لإسرافي فإنّي لتالف

وهو الحليم فلا يعاجل عبده ۞ بعقوبة ليتوب من عصيان
وهو العفوّ فعفوه وسع الورى ۞ لولاه غارت الأرض بالسكّان
فيريك عزّته ويبدي لطفه ۞ والعبد في الغفلات عن ذا الشأن
واللّه لو أنّ القلوب سليمة ۞ لتقطّعت أسفًا من الحرمان
لكنّها سكرى بحبّ حياتها الدُّنيا ۞ وسوف تفيق بعد زمان

صرفت إلى ربِّ الأنام مآربي ۞ ووجّهت وجهي نحوه بمطالبي
إلى الملك الأعلى الّذي ليس فوقه ۞ مليك يرجى سيبُه في المساغب
إلى الصّمد البرّ الّذي فاض جوده ۞ وعمّ الورى طراً بِجزلِ المواهب
إذا سُدَدُ الملوك دوني غلقت ۞ ونهنه عن غشيانها زجر حاجب
فزعت إلى باب المهيمن طارقا ۞ مُدِلاًّ أنادي باسمه غير هائب
فلمْ أُلفَ حُجابًا ولم أخش منعةً ۞ ولو كان سؤلي فوق هام الكواكب
كريم يلبّي عبده كلّما دعا ۞ نهاراً وليلاً في الدّجى والغياهب
يقول له لبّيك عبدي داعيًا ۞ وإن كنت خطّاءً كثير المعايب
فما ضاق عفوي عن جريمة خاطئ ۞ وما أحد يرجو نداي بخائب
فلا تخش إملالا وإن كنت مكثرا ۞ فعفوي مبذول إلى كلّ طالب

واسأله ما شئت إنَّ يمينه ۞ تَسِحُّ دفاقا بالمنى والرّغائب
فحسبي ربّي في الهزائز ملجأ ۞ وحرزًا إذا خِيفَتْ سهام النّوائب

عسى من خفيّ اللّطف سبحانه لطف ۞ بعطفة بَرٍّ فالكريم له عُطف
عسى من لطيف الصّنع نظرة رحمة ۞ إلى من جفاه الأهل والصّحب والإلف
عسى فرج يأتي به اللّه عاجلا ۞ يسرّ به الملهوف إن عمّه اللّهف
عسى لغريب الدّار تدبير رأفة ۞ وبرّ من الباري إذا العيش لم يصف
عسى نفحة فرديّة صمديّة ۞ بها تنقضي الحاجات والشّمل يَلْتَفُّ
فإنّيَ والشّكوى إلى اللّه كالّذي ۞ رمى نفسه في لجّة موجها يطفو
فمن محن الأيّام قلبي معذّب ۞ ألمّ بروحي قبل حتف الفنا حتف
ومن فرقة الأحباب قلبي مقسم ۞ ثلاث وأرباع ونصف ولا نصف
ولكن مثلي يذخر الصّبر للأسى ۞ وإن أبت الأحزان والأربع الذّرف
وإنّي لأرضى ما قضى اللّه لي ولو ۞ عبدت على حرف لأزرى بي الحرف
ولم أبن حسن الظنّ في سيّدي على ۞ شفا جُرف هار فينهار بي الجُرْفُ
ولكن دعوتُ اللّه يكشف كربتي ۞ فما كربةٌ إلاّ ومنه لها كشف
فكم بُسِطَتْ كفٌّ بسوء تريدني ۞ فقال لها الكافي ألا غُلَّتْ الكَفُّ
وكم هم صرف الدّهر يصرف نابه ۞ عليَّ فجاء الموت وانصرف الصرف
ولم اعتصم باللّه إلاّ ومدّ لي ۞ من البرّ ظلاًّ في رضاء له وَكْفُ
وإنّي لمستغن بفقري وفاقتي ۞ إليه ومستقوٍ وإن كان بي ضعف
وفي الغيب للعبد الضّعيف لطائف ۞ بها جفّت الأقلام وانطوت الصّحف

فكم راح رَوْحُ اللّهِ في خلقه وكم ۞ غدا قبل أن يرتدّ للنّاظر الطّرف
بقدرة من شدّ الهوى وبنى السّما ۞ طرائق فوق الأرض فهي لها سقف
ومن نصب الكرسيّ والعرش واستوى ۞ على العرش والأملاك من حوله حفوا
ومن بسط الأرضين فهي بلطفه ۞ لحيّ بني الدُّنيا وميّتهم ظرف
وألقى الجبال الشمّ فيها رواسيا ۞ فليس لها من قبل موعدها نسف
وألبسها من سندس النّبت بهجة ۞ من القطر ما صنف يشابهه صنف
وسخّر من نشر السّحاب لواقحا ۞ إذا انتشرت دوّت سحائبها الوطف
وأنشأ من ألفافها كلّ حبّة ۞ بها الأب والرّيحان والورد والعطف
ويعلم مسرى كلّ سار وسارب ۞ وما أعلنوه من خطايا وما أخفوا
ويحصي الحصى والقطر والنّبت في الثّرى ۞ والاحقاف عَدًّا قلّ أو كثر الحقفُ
ويدري دبيب النّمل في اللّيل إن سعت ۞ وإن وقفت ما أمكن السّعي والوقف
ووزن جبال كم مثاقيل ذرّة ۞ وكيل بحار لا يغيضها نزفُ
وكم في غريب الملك والملكوت من ۞ عجائب لا يحصى لأيسرها وصف
إلهي أقلني عثرتي وتولّني ۞ بعفو فإنّ النّائبات لها عنف
خلعت عذاري ثُمَّ جئتك عائذا ۞ بعذري فإن لم تعف عنّي فمن يعفو
وأنت غياثي عند كُلّ مُلمّة ۞ وكهفي إذا لم يبق لي في الورى كهف
فكم صاحب رافقته ليكون لي ۞ رفيقًا فأضحى وهو بادي الجفا خلف
وما ماشيت من قوم عدوًّا وحاسدًا ۞ إذا استنصروا ذلّوا وإن وزنوا خفّوا
طباع ذئاب في ثياب جميلة ۞ بصائرهم عميٌ قلوبهم غلف
يلوح عليهم للنّفاق دلائل ۞ وبالحكّ يبدو الزّيف والذّهب الصّرف

فحُل سيّدي ما عشتُ بيني وبينهم ۞ بحولك حتّى يخضع الفرد والأَلْفُ
وأعل مقامي وانصب اسمي بخفضهم ۞ ليصرف كلّ اسم يحقّ له الصّرف
لأنّك معروفي ومنك عوارفي ۞ إذا اسْتُنْكِرَ المعروفُ وانقطع العرف
وأثبت بنور العلم والحلم منك لي ۞ سعادة حظّ ما لمثبتها حذْف
وأيدّ بحرف الكاف والنّون حجّتي ۞ ليسبق لي من كلّ صالحة حرف
وصلّ على روح الحبيب محمَّد ۞ صلاة علاها النّور وانتشر العرف
وأزواجه والآل ما انثنت ۞ أراك الحمى واستطرب الإبل الزّيف

وقال أيضًا :

مقيل العاثرين أقل عثاري ۞ وخذ لي من بني زمني بثأري
وجمّلني بعافية وعفو ۞ من الأمراض والعلل الطواري
فيا فرداً بلا ثان أجرني ۞ بعزّ عُلاك من شان وزاري
ولا تشمت بي الأعداءَ وانظر ۞ إليّ برحمة نظر اختياري
فقد هتكوا حماي وعاندوني ۞ على نعم تَدر عليّ دياري
وإنّ تضرّري وعناي منهم ۞ نظير تذلّلي لك وافتقاري
فإن يخسر بسوقهم اتّجاري ۞ ففضلك سوق أرباح التجّار
وإن يك عقّني صحبي وجاري ۞ فجودك بالّذي أرجوه جاري
وإني بعت حين عرفت دهري ۞ خيارَ بني الزّمان بلا خيار
لأنّهم ذئاب في ثياب ۞ فيا لك من شرار في شرار
فكم لحم شووه بغير نار ۞ وعرض مزّقوه بلا شفار

وكم نصبوا العداوة لي بكيد ۞ فكادوا يهدمون به جداري
فهل لك يا خفيّ اللّطف لطف ۞ يعود على احتسابي واصطباري
فأنت بنيتها سبعًا شدادا ۞ يزين جوّها شهب سواري
ومهدّت الأراضي من نجود ۞ وغور في عمار أو قفار
وسخّرت البحار السّبع تجري ۞ بها الأفلاك من غاد وسار
وأنشأت السّحاب ولا سحاب ۞ وأذريت الرّياح ولا ذواري
سخّرت الشّمس خلف البدر تسعى ۞ كسعي اللّيل في طرف النّهار
وتعلم كلّ خائنة وتدري ۞ دبيب النّمل في ظلم المجاري
وتمسك في الهواء الطّير بسطا ۞ وقبضًا في رواح وابتكار
وتكفّل كل وحش في البراري ۞ وترزق كلّ حوت في البحار
وكم من نعمة غذت البرايا ۞ براها من لكلّ الخلق باري
كريم منعم برّ رؤوف ۞ مقيل العاثرين من العثار
إلهي عافني وأصحّ جسمي ۞ وصل واقبل برحمتك اعتذاري
وطهّر قالتي وتغشّ قلبي ۞ بأنوار السّكينة والوقار
وإن كرّرت مسألتي فكلني ۞ إلى كرم يفيض بلا انحصار
فتخْتَ يدي أطفال صغار ۞ فهبني للأطيفال الصّغار
أجاهد فيك محتسبًا عليهم ۞ وأبذل فيك جهدي واقتداري
وتيسير الأمور عليك دوني ۞ ففرّج هم عسري باليسار
ومُنَّ عليّ يوم الكُتُب تُقرا ۞ وتعطى باليمين وباليسار
وكن لدخيل علّته طبيبًا ۞ بلا نار ولا طول انتظار

فــــإنّك إن لطفـــت بـــه تعـــافى ۞ وعـــاد بلطـف صنعــك وهـــو بـــاري

وصـــلِّ علـــى النـــبيِّ وتابعيـــه ۞ وعترتـــه الخيـــار بـــني الخيـــار

فمـــدح محمَّـــد شـــرفي وعـــزّي ۞ وجـــاهي في العشـــائر وافتخـــاري

وقـال أيضًا :

أغيـــب وذو اللّطـــائف لا يغيـــب ۞ وأرجـــوه رجـــاء لا يخيـــب

وأســـأله السّـــلامة مـــن زمـــان ۞ بُليـــت بـــه نوائبـــه تشـــيب

وأنـــزل حـــاجتي في كـــلّ حـــال ۞ إلى مـــن تطمئـــن بـــه القلـــوب

ولا أرجـــو ســـواه إذا دهـــاني ۞ زمـــان الجـــور والجـــار المريـــب

فكـــم للّـــه مـــن تدبـــير أمـــر ۞ طوتـــه عـــن المشـــاهدة الغيـــوب

وكـم في الغيـب مـن تيسـير عسـر ۞ ومـــن تفريـــج نائبـــة تنـــوب

ومـــن كـــرم ومـــن لطـــف خفـــيّ ۞ ومـــن فـــرج تـــزول بـــه الكـــروب

ومـــا لي غـــير بـــاب اللّـــه بـــاب ۞ ولا مـــولى ســـواه ولا حبيـــب

كريـــم ، منعـــم ، بـــرّ ، لطيـــف ۞ جميـــل السّـــتر للدّاعـــي مجيـــب

حليـــم لا يعـــاجل بالخطايـــا ۞ رحيـــم غيـــث رحمتـــه يصـــوب

فيـــا ملـــك الملـــوك أقـــل عثـــاري ۞ فـــإنّي عنـــك أنـــأتني الذّنـــوب

وأمرضـــني الهـــوى لهـــوان حظّـــي ۞ ولكـــن ليـــس غـــيرك لي طبيـــب

وعـــاندني الزّمـــان وعيـــل صـــبري ۞ وضـــاق بعبـــدك البلـــد الرّحيـــب

فـــآمن روعـــتي واكبـــت حســـودي ۞ فـــإنّ النّائبـــات لهـــا نيـــوب

وآنســـني بـــأولادي وأهلـــي ۞ فقـــد يَســـتوحِشُ الرّجـــلُ الغريـــبُ

ولي شجن بأطفال صغار ۞ أكاد إذا ذكرتهم أذوب
ولكنّي نبذت زمام أمري ۞ لمن تدبيره فينا عجيب
هو الرَّحمن حولي واعتصامي ۞ به وإليه مبتهلاً أنيب
إلهي أنت تعلم كيف حالي ۞ فهل يا سيّديّ فرج قريب
وكم متملّق يخفي عنادي ۞ وأنت على سريرته رقيب
وحافر حفرة لي هار فيها ۞ وسهم البغي يدري من يصيب
وممتنعُ قويّ مُسْتَضْعِفُ لي ۞ قصمتَ قواه عنّي يا حبيب
وذي عصبيّة بالمكر يسعى ۞ إليَّ سعيًا به يوم عصيب
فيا ديّان يوم الدِّينِ فرِّجْ ۞ همومًا في الفؤاد لها دبيب
وصل حبلي بحبل رضاك وانظر ۞ إليَّ وتب عليَّ عسى أتوب
وراع حمايتي وتولّ نصري ۞ وشدّ عراي إن عرت الخطوب
وأفن عداي واقرن نجم حظّي ۞ بسعد ما لطالعه غروب
وألهمني لذكرك طول عمري ۞ فإنّ بذكرك الدُّنيا تطيب
فظنّي فيك يا سندي جميل ۞ ومرعى ذود آمالي خصيب
وصلِّ على النبيِّ وآله ما ۞ ترنّم في الأراك العندليب

٦٠

وقال أيضًا :

إليه به سبحانه أتوسّل ۞ وأرجو الّذي يرجى لديه وأسأل
وأحسن قصدي في خضوعي وذلّتي ۞ له وعليه وحده أتوكّل
وأصحب آمالي إلى فضل جوده ۞ وأنزل حاجاتي بمن ليس يبخل

فسبحانه من أوّل وهو آخر ۞ وسبحانه من آخر وهو أوّل
وسبحان من تعنو الوجوه لوجهه ۞ ومن كلّ ذي عزّ له يتذلّل
ومن هو فرد لا نظير له ولا ۞ شبيه ولا مثل به يتمثّل
ومن كلّت الأفهام عن وصف ذاته ۞ فليس لها في الكيف والأين مدخل
تكفّلَ فضلاً لا وجوبًا برزقه ۞ على الخلق فهو الرازق المتكفّل
ولم يأخذ العبد المسيء بذنبه ۞ ولكنّه يرجي الأمور ويمهل
حليم عظيم راحم متكرّم ۞ رءوف رحيم واهب متطوّل
جواد مجيد مشفق متعطّف ۞ جليل جميل منعم متفضّل
له الرّاسيات الشمّ تهبط خشية ۞ وتنشقّ عن ماء يسيح ويخضل
وأنشأ من لا شيء سحبًا هواطلا ۞ يسبّح فيها رعدها ويهلّل
وأحيا نواحي الأرض من بعد موتها ۞ بمنسجم غيثًا من السّحب يهمل
وأجرى بلا نفخ رياحًا لواقحا ۞ تسير بلا شخص يحاط ويعقل
فسبحان مجري الرّيح في كلّ موضع ۞ لتبلغ كلّ العالمين وتشمل
على أنّهُ في عزّ سلطانه يرى ۞ ويسمع منّا ما نجدّ ونهزل
يحيط بما تخفي الضّمائر علمه ۞ ويدري دبيب النّمل واللّيل أليل
ويحصي عديد القطر والرّمل والحصى ۞ وما هو أدنى منه عداً وأكمل
ويعلم ما قدر الجبال ووزنها ۞ مثاقيل ذرٍّ أو أخفّ وأثقل
حنانيك يا من فضله الجمّ فائض ۞ ومن جوده الموجود للخلق يشمل
ويا غافر الزلّات وهي عظيمة ۞ ويا نافذ التّدبير ما شاء يفعل
ويا فالق الإصباح والحبّ والنّوى ۞ ويا باعث الأشباح في الحشر تنسل

أجب دعوتي يا سيّدي واقض حاجتي ❁ سريعًا فشأن العبد يدعو ويعجل

فما حاجاتي إلاّ الّتي قد علمتها ❁ وإن عظمت عندي فعندك تسهل

وأسبل علينا السّتر من كلّ نكبة ❁ فسترك مسدول على الخلق مَسبل

وأكرمنا بالقرآن واجعله حجّة ❁ لنا شافعًا إذ لا شفاعة تقبل

فيا طول ما يتلوه يرجو بضاعة ❁ مضاعفة يوم الجزا ليس تهمل

ولاطفه وارحم من يليه رحامة ❁ وصحبًا فإنّ البعض للبعض يحمل

أجرهم من الدُّنيا ومن نكباتها ❁ ولا تخزهم يوم العشار تعطّل

وقائلها فاغفر خطاياه إنّه ❁ أسير بأثقال الذّنوب مكبّل

أتاك ولا قلب سليم مطهّر ❁ ولا عمل ترضى به كان يفعل

ولا يرتجي من عند غيرك رحمة ❁ ولا يبتغي فضلاً لمن يتفضّل

بلى جاء مسكينًا مقرًّا بذنبه ❁ ذنوب وأوزار على الظّهر تحمل

فحقّق رجائي فيك يا غاية المنى ❁ فأنت لمن يرجوك حصن ومؤئل

وإن فتحت جنّات عدن لداخل ❁ فقل يا عبادي هذه الجنّة ادخلوا

فجودك يا ذا الكبرياء مؤمل ❁ وحبلك للرّاجين بالخير يوصل

وصلّ وسلّم كلّ لمحة ناظر ❁ على أحمد ما حنّ رعد مجلجل

صلاة تحاكي الشّمس نورًا ورفعة ❁ وتفضح أنوار الرّياض وتخجل

تخصّ حبيب الزّائرين وتنثني ❁ على آله إذ هم أعزّ وأفضل

❁❁❁

في مدح الرَّسولِ ﷺ وآله ، وذكر بعض معجزاته

قال بعضهم في ذكر آباء الرّسول ﷺ :

آباء خير الخلق حفظهم يجب ۞ أبوه عبد اللّه عبد المطّلب

فهاشم عبد مناف فقصي ۞ كلاب مرّة فكعب فلؤي

فغالب فهر فمالك يليه ۞ نضر كنانة خزيمة الوجيه

مدركة إلياس مضر نزار ۞ معد عدنان هم الأخيار

وأمّه آمنة من وهب ۞ عبد مناف زهرة كلاب

وفيه تلتقي مع الابن الأغرّ ۞ جلّ الّذي طهّرهم من القذر

وقال حسّان بن ثابت :

وأحسن منك لم تر قطّ عيني ۞ وأجمل منك لم تلد النّساء

خلقت مبرءاً من كلّ عيب ۞ كأنّك قد خلقت كما تشاء

وقال أحمد شوقي [١] :

محمَّدٌ صفوةُ الباري ورحمتُهُ ۞ وبغيةُ اللّه من خلقٍ ومن نَسَمِ
وصاحبُ الحوضِ يومَ الرّسلُ سائلةٌ ۞ متى الورودُ وجبريلُ الأمينِ ظَمِي
سناؤُهُ وسناءُ الشّمس طالعةً ۞ فالجرمُ في فلكٍ والضّوءُ في عَلَمِ
قد أخطأَ النّجمُ ما نالتْ أبوَّتُهُ ۞ من سؤددٍ باذخٍ في مظهرٍ يسمِ
نُمُوا إليه فزادوا في الورى شرفًا ۞ وربَّ أصلٍ لفرعٍ في الفخارِ نُمِي
حواهُ في سُبُحاتِ الطّهرِ قبلهمُ ۞ نورانِ قاما مقامَ الصُّلْبِ والرّحمِ
لما رآه بُحيرا قالَ نعرفُهُ ۞ بما حفظنا من الأسماءِ والسِّيمِ
سائلْ حراءَ وروحَ القدس هلْ عَلِمَا ۞ مصونَ سرٍّ عن الإدراكِ مُنْكَتِمِ
كم جَيئَةٍ وذهابٍ شَرُفَتْ بهما ۞ بطحاءُ مكّةَ في الإصباحِ والغَسَمِ
ووحشة لابن عبد اللّه بينهما ۞ أشهى من الأنس بالأحبابِ والحَشَمِ
يسامرُ الوحيَ فيها قبلَ مَهْبِطِهِ ۞ ومَنْ يُبشر بِسيمَى الخيرِ يتسمِ
لمّا دَعا الصّحبُ يستسقون من ظماٍ ۞ فاضتْ يداهُ من التّسنيمِ بالسَّنَمِ
وظلّلته فصارت تستظلّ به ۞ غمامة جذبتها خيرةَ الدّيمِ
محبّة لرسول اللّه أشربها ۞ قعائد الدّير والرّهبان في القممِ
إنَّ الشّمائل إن رقت يكاد بها ۞ يُغرَى الجماد ويغرَى كلّ ذي نسمِ
ونودي اقرأ تعالى اللّه قائلها ۞ لم تتّصل قبل من قيلت له بفمِ
هناك أذن للرّحمن فامتلأت ۞ أسماع مكّة من قدسيّة النّغمِ

---

(١) من ديوان « الشّوقيّات » : ١/٢٣٦ - ٢٣٩ .

فلا تسل عن قريش كيف حيرتها ۞ وكيف نفرتها في السّهل والعلم
تساءلوا عن عظيم قد ألمّ بهم ۞ رمى المشايخ والولدان باللمم
يا جاهلين على الهادي ودعوته ۞ هل تجهلون مكان الصّادق العلم ؟
لقّبتموه أمين القوم في صغر ۞ وما الأمين على قول بمتّهم
فاق البدور وفاق الأنبياء فكم ۞ بالخلق والخلق من حسن ومن عظم
جاء النّبيون بالآيات فانصرمت ۞ وجئتنا بحكيم غير منصرم
آياته كلّما طال المدى جدد ۞ يزينهنّ جلال العتق والقدم
يكاد في لفظة منه مشرفة ۞ يوصيك بالحقّ والتّقوى وبالرّحم
يا أفصح النّاطقين الضّاد قاطبة ۞ حديثك الشّهد عند الذّائق الفهم
حلّيت من عطل جيد البيان به ۞ في كلّ منتثر في حسن منتظم
بكلّ قول كريم أنت قائله ۞ تحيي القلوب وتحيي ميّت الهمم
سرت بشائر بالهادي ومولده ۞ في الشّرق والغرب مسرى النّور في الظّلم
تخطّفت مهج الطّاغين من عرب ۞ وطيّرت أنفس الباغين من عجم
ريعت لها شرف الإيوان فانصدعت ۞ من صدمة الحقّ لا من صدمة القدم
أتيت والنّاس فوضى لا تمرّ بهم ۞ إلاّ على صنم قد هام في صنم
والأرض مملوءة جوراً مسخّرة ۞ لكلّ طاغية في الخلق محتكم
مسيطر الفرس يبغي في رعيّته ۞ وقيصر الرّوم من كبر أصمّ عم
يعذّبان عباد اللّه في شبه ۞ ويذبحان كما ضحّيت بالغنم
والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم ۞ كاللّيث بالبهم أو كالحوت بالبلم
أسرى بك اللّه ليلاً إذ ملائكه ۞ والرّسل في المسجد الأقصى على قدم
لما خطرت به التفّوا بسيّدهم ۞ كالشّهب بالبدر أو كالجند بالعلم

صلّى وراءك منهم كلّ ذي خطر ۞ ومن يفز بحبيب اللّه يأتمم

جبت السّماوات أو ما فوقهنّ بهم ۞ على منورة دريّة اللّجم

ركوبة لك من عزّ ومن شرف ۞ لا في الجياد ولا في الأينق الرّسم

مشيئة الخالق الباري وصنعته ۞ وقدرة اللّه فوق الشكّ والتّهم

حتّى بلغت سماء لا يطار لها ۞ على جناح ولا يسعى على قدم

(١) ذريّة المصطفى إنّي أحبّكم ۞ وحبّكمُ واجب في الدّين مُفْتَرَضُ

فليس يبغضكم ، لا كان باغضكم ۞ إلاّ امرؤ مارق في قلبه مرض

وحسبكم شرفًا في الدّهر أنّكم ۞ خير البريّة هذا ليس يعترض

ولست أطلب من حبّي لكم ثمنا ۞ إلاّ الشّفاعةَ فهي السُّوْلُ والغَرَضُ

قال الفرزدق في وصف الإمام زين العابدين [٢] :

هذا ابن خير عباد اللّه كلّهم ۞ هذا التّقيّ النّقيّ الطّاهر العلم

هذا الّذي تعرف البطحاء وطأته ۞ والبيت يعرفه والحلّ والحرم

وليس قولك : من هذا ؟ ... بضائره ۞ العرب تعرف من أنكرت والعجم

إذا رأته قريش .. قال قائلها ۞ إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

يغضي حياء ويغضى من مهابته ۞ فما يكلّم إلاّ حين يبتسم

۞۞۞

(١) أزهار الرِّياض : ٢/٣٧٧ .

(٢) نقلاً من كتاب العود الهندي : ٢/١٤٠ .

في الجهاد والتحذير من الأعداء

نورد هنا نبذة مختصرة من جهاد صلاح الدّين الأيوبي وانتصاره؛ ذكرى وعبرة للمعتبرين، وليأخذوا حذرهم ويعلموا أنّ اليهود والنّصارى للمسلمين بالمرصاد .

قال شكيب أرسلان [١] :

إذا افتخر الشّرق القديم بسيّد ❁ تَمِيدُ بذكراه ابتهاجًا محافِلُهْ

ونُصّتَ موازين الفِخَار وقد أتى ❁ يماتن كلّ خصمه ويساجله

فمن كصلاح الدِّين تعنو لذكره ❁ رؤوس أعاديه ومن ذا يعادله

يخالط أعماق القلوب ولاؤه ❁ وتفعل أفعال الشّمول شمائله

وأقسم لو في الحيّ نودي باسمه ❁ لدى سنوات المحل لا خضر ماحِلُهْ

له عاملا حرب، وسلم، كلاهما ❁ كفيل بإذلال العدوّ وقاتلُهْ

مهنده في عنق قِرْن مساورٌ ❁ ومنته في عنق خصم يجاملُهْ

وما قتل الحرّ الأبيّ الّذي زكت ❁ سجاياه كالعفو الّذي هو شاملهْ

---

(١) ديوان شكيب أرسلان .

ومـن فهـم الإنسـان في النّـاس فهمـه ۞ رأى أنّ كـــلّ العـــالمين عوائلـــهْ
كذلـــك مـــن كـــان التمـــدّن دأبـــه ۞ ســـجيّة صـــدق محضـــة لا تزايلـــهْ
وليـس كمـن بـات التمـدّن يدّعـي ۞ مقاولـــه قـــد كذبتهـــا مفاعلـــهْ
تَعَلّم أهـل الغـرب مـن يوسـف العُلى ۞ وإن بهرتهـــم في التّلاقـــي فضائلـــهْ
سـلوا الشّـرق عـن آثـاره في غَزاتـه ۞ علـى حـين كـلّ الغـرب صَفًّـا يقابلـهْ
مَشَـى الغـربُ طُـرًّا قضّـه وقضيضـه ۞ وفارســـه رام الـــنّزال وراجلـــهْ
مئـات ألـوفٍ والفرنسـيسُ وحـده ۞ غـدا أمّـةً في الأرض إن صـال صائلـه
وريكـارد قلـب اللّيـث في كـلّ موقـف ۞ يـــؤازره في طولـــه ويماثلـــه
ومـن أمّـة الألمـان جيـش عرمـرمٌ ۞ يسـير بـه مـن أبعـد الأرض عاهلـه
هـي الأمـم الكـبرى ومـا ثـمّ قيصـر ۞ سـواها ولم تزحـف إلينـا جحافلـه
فصـادمهم مـن نجـل أيـوّبَ وحـدهُ ۞ فتـى بهـمٍ جمعًـا تميـلُ موائلـهْ
حليـــفُ وفـــاءٍ لا يضـــامُ نزيلـــهُ ۞ ولكنّـــه أمســـى يُضـــامُ مُنَازِلُـــهْ
لـــه ثقـــةً باللّـــه ليســـت بغـــيره ۞ ومـن يـرجُ غـير اللّـه فاللّـه خاذلـه
وقـال وقـد تَعِـي الجِبـالَ جموعُهـمْ ۞ ليفعـل إلهـي اليـومَ مـا هـو فاعلـه
تَجمَّـــع كـــراتٍ بعكّـــا عـــدّوه ۞ ومـــن تـــلّ كيســـان تُهـــد صواهلـــه
ويَصْطَـدمُ الجمعـانِ حولـين كلّمـا ۞ خَبَـتْ نـارُ حـربٍ أوقدتهـا مشـاعله
ذرا برجـال الشّـام شُـمَّ جيوشـهم ۞ فعـادوا كعصـفٍ بدّدتـه مآكلـه
وســـخّر هـــاتيك المعـــاقل كلّهـــا ۞ وليســـت ســـوى آي الكتـــاب معاقلـــه
وسـل عنـه في حطّـين يومًـا عقبقبـا ۞ غـــداة لـــواءُ الحـــق عُـــزِّزَ حاملـــه
وعـــن ملـــك الإفرنـــج وهـــو أســـيره ۞ وأرنـــاط إذ تبكـــي عليـــه حلائلـــه

هنا انتصف الشّرق الأصيل من الّذي ۞ أغار عليه واستطالت طوائله
فهل كان مثل الشّام حصنًا لأمّة ۞ تمشي إليها الغرب تغلي مراجله
ومن قصد الشّام الشّريف فإنّه ۞ ليعرفه قبل التوغّل ساحله
فيا وطني لا تترك الحزم لحظة ۞ بعصر أحيطت بالزّحام مناهله
وكن يقظًا لا تستنم لمكيدة ۞ ولا لكلام يشبه الحقّ باطله
تذكّر قديم الأمر تعلم حديثه ۞ فكلّ أخير قد نمته أوائله
سيعلم قومي أنّني لا أغشّهم ۞ ومهما استطال اللّيل فالصّبح واصله

وقال الرّصافي : (1)

لقد جمع الدّهر المكايدَ كلَّها ۞ بِقِدْرٍ كبير صيغ من معدنِ الخبث
وصبّ عليها من بثار صروفه ۞ سجالاً من الكذِب المموَّه بالحِنْثِ
وأنقع فيها ما يعادل ثلثها ۞ من المكر بل ما قد يزيد على الثّلث
وفتّت أرطالاً من الغدر فوقها ۞ وعالجها بالدَّقِّ والدَّلْكِ والدَّعْثِ
وأوقد ناراً للخديعة تحتها ۞ تَزيد على نار الغضى أو على الرَّمْثِ
فغارت مليًّا فيه ثُمَّ تصعدت ۞ بخاراً بأنبيق من السّحر والنّفث
فصاغ طباع الإنكليز من الّذي ۞ تقاطر في الإنبيق كالمطر الدث
دع اللوم واسمع ما أقول فإنّني ۞ قتلت طباع التيمسيين بالبحث
كأنّهم والنّاس عُثٌّ وَصُوفَةٌ ۞ وهل يستقيم الصّوف في عَيْثَةِ العُثِّ

---

(1) ديوان الرّصافي ، ص٤٥٩ .

فكم حرثوا في أرض مستعمراتهم ❁ مظالمَ سوداً كنّ من أفظع الحرث
وكم أيقظوا والنّاس في الدّور نُوَّمٌ ❁ بها فِتَنًا كالدَّجْنِ يهمِي على الوَعْثِ
وهم يأكلون الزّبد من منتجاتها ❁ ويلقون للأهلين مِنْهُنَّ بالفَرْثِ
فيحظون منها بالنّفائس دونهم ❁ ويعطونهم منها السَّقِيطَ من الخرثى
زُرِ الهند إن رمت العَيان فكم ترى ❁ على الأرض من غُبْرٍ هناك ومن شُعْثٍ
يقولون إنّا عاملون لسعدكم ❁ ولم يعملوا غير الكوارث والكَرْثِ
فكم بعثوا في الشّرق حربًا ذميمةً ❁ تمثّل في أهوالها ساعةَ البعث
وكم أرسلوا دسًّا جواسيس مكرهم ❁ على النّاس يشتدّون بالنّبش والنّبث
وهم سلبوا أرض العراق سمينها ❁ ولم يتركوا للقوم فيها سوى الغثّ
إذا ما رايت القوم في فخّ مكرهم ❁ رفقت لهم تبكي على القوم أوْ تَرْثِي
فلا ترج في الدُّنيا وفاء لعهدهم ❁ فلا بُدّ في الأيّام للعهد من نكث
وما الحكم إلاّ عندنا كمِطَّةٍ [1] ❁ رموها إلينا كي يروا لعبة الطث

وقال أيضًا : [2]

أرى الحقّ لم يغش البلاد وإنّما ❁ مشى ضاربًا في الأرض تلفظه الطّرق
فيصبح في أرض ويمسي بغيرها ❁ وحيداً فما يؤويه غرب ولا شرق

---

(١) لعبة الأطفال .

(٢) نقلاً من ديوان الرّصافي ، ص٤٠٥ .

توطن قفر الأرض مبتعداً بها ❀ إلى حيث لا أنس ولا طائر يزقو

وقد يهبط الأمصار وهو محجب ❀ ويظهر أحيانًا كما أومض البرق

ومن عجب أنّ الورى يدعونه ❀ وهم من قديم الدّهر أعداؤه الزّرق

أعدّوا له في البرّ والبحر قوّة ❀ إذا ظهرت ينسدّ من دونها الأفق

وطاروا بطيّاراتهم يمطرونه ❀ قذائف من نار كما أمطر الودق

يقولون إنَّ الحقّ في الخلق قوّة ❀ تذلّ لها الأعناق قهراً وتندق

فما باله يمسي ويصبح شاكيًا ❀ ولا يتحاشى عن ظلامته الخلق

إلى اللّه نشكو الأمر من مدنيّة ❀ تعارض في أوصافها الكذب والصّدق

فهم منعوا رقّ الأسير وإنّما ❀ أجازوا لهم أن يشمل الأمم الرقّ

ألم تر في القطر العراقيّ أمّة ❀ من الأسر مشدوداً بأعناقها ربق

قد اختطّ فيه السّيف للقوم خطّة ❀ من العنف لم يمرر بساحتها رفق

وأوجرهم سمًّا من الذّلّ ناقعًا ❀ بكأس من العدوان ليس لها مذق

❀❀❀

الافتخار بالسّلف الأول

قال شكيب أرسلان [١] :

وإنّي مـن الشّـعبِ الّذيـن إذا سَـعَوْا ۞ يَجلـون قـدراً عـن حُـؤُول الحوائـلِ

ألم ترهـم بـالأمس حزمًـا وقـوّةً ۞ مفـاعيلُهم في الأمـر قبـل المَقـاولِ

فمـا آجـلٌ يرجونـه غـير عـاجلٍ ۞ ومـا عـاجلٌ يَأْبونَـهُ غـيرَ آجـل

لقـد خيّبـوا آمـال كـلِّ معـارضٍ ۞ وقـد زلزلـوا أقـدامَ كـلِّ مُنَـازِل

بشـقرٍ سـراحيبٍ وسمـرٍ ذوابـلٍ ۞ وبيـضٍ أصـاليتٍ وصفـرٍ عَيَـاطِلِ

غـداةَ بـلادِ النّـاس شـرقًا ومغربًـا ۞ أطلّـوا علـى أقطارهـا بالجحـافل

لقـد دَكْدَكُـوا الأجبـالَ فيهـا وشيّدوا ۞ سـواهنّ شُـمًّا مـن غُبَـار القَسَـاطِل

أطـاروا قلـوبَ الكاشـحين وأرقصـوا ۞ فرائصهـم مـن كـلّ حـاف ونـاعل

وقـد سـحقوا بطشًـا رؤوسَ عِدَاتِهـمْ ۞ وقـد نَزَّلوهـم مـن رؤوس المعـاقل

فمـا زال منهـم باخعًـا كـلُّ عـاملٍ ۞ ومـا زال فيهـم عـاملاً كـلُّ عـاملِ

إلى أن ولـوا بالسّـيف أقصـى بلادِهـم ۞ فلـم يَدْعُـوا فيهـا مجـالاً لجـائِلِ

فهم خيرُ من في الأرضِ سَلُّوا صوارما ۞ وقـادوا عتـاقَ الخيـلِ قُـبَّ الأيـاطِلِ

وهم خير من ضمّوا الـيراعَ إلى القنـا ۞ وهـم خـيرُ حـدٍّ بـين حـقٍّ وبـاطلِ

لقد نشـروا العلـمَ الحقيقـيَّ في الـورى ۞ على حينِ تَغْلِي الحربُ غَلْيَ المراجلِ

---

(١) ديوان شكيب أرسلان ، ص١٥٢ ، ١٥٣ .

وقد خَطبُوا في الأرضِ بالحقّ مِنْ على ۞ منابر عزٍّ من متونِ الصّواهلِ
أزالوا سفاهات الشّعوب وقابَلوا ۞ سَفَاسِفَهُم بالمكرمات الجلائلِ
وشادوا على تلكَ الرّسومِ حضارةً ۞ أُقيمت على أُسِّ التُّقَى والفضائل
فأصبحَ منهم عامراً كلُّ غامرٍ ۞ وأضحى لديهم مُمرِعًا كُلّ قاحلِ
زها ونما نبتُ الوشيجِ بأرضِهِم ۞ وفي مدنهم زادت فنونُ الصّياقِلِ
أولئك آبائي فجئني بمثلهم ۞ وإلاّ فهمْ في الأرضِ خيرُ القبائلِ
رجالٌ لديهم راقَ جمعُ مناقبٍ ۞ عَفَافٍ وإقدامٍ وحزمٍ ونائلِ
بدورٌ بآفاقِ الزّمانِ أوافلُ ۞ نحيي على تلك البدور الأوافلِ
أقاموا زمانًا ثُمَّ مرَّ عليهمُ ۞ عتوّ الدّواهي والليالي الدوائلِ
زمانًا قَضَوْهُ بِالعَلاَءِ ولم تكنْ ۞ ليالي عُلاَهُم بالليالي القلائلِ
كذلك قد كانت أوائلُ قومِنَا ۞ ألا ليتنا نبني بناءَ الأوائلِ
ونحيي رسومًا غَادَرُوْا لاعتبارنا ۞ فأصبحَ منها دارسًا كُلّ ماثلِ
أما نحنُ مَنْ حازوا الغنى بعقولِهمْ ۞ وجادوا على كلّ الورى بالفواضلِ
وقد كانَ منّا كُلّ نَدْبٍ مجرّبٍ ۞ بنورِ الحُجَى جالَ دياجي المعاضلِ
وكلّ همامٍ مشبعِ الحجرِ راشدٍ ۞ موفّقِ آراءٍ دليلِ مجاهلِ
وكلِّ إمامٍ كالغزالي وهوَ مَنْ ۞ إذا قالَ لم يتركْ مجالاً لقائلِ
وكلِّ حكيمٍ كالرّئيسِ الّذي جرى ۞ وَخلّى أرسطو خلفهُ بمراحلِ
وكلِّ أريبٍ كابنِ رشدٍ ومن على ۞ هداهُ وكالرّازيّ ندِّ الأوائلِ

فبالشّــرقِ مِنّــا كالرّشــيدِ وقومــهِ ۞ وبـالغربِ منّـا نـاصرُ بعـدَ داخـلِ [١]

ولا تنـس في وادي الفــراتِ وَجِلَّــقٍ ۞ وفي مصـرَ آثـارَ الصّــلاح وعـادلَ [٢]

ولا سادةً منهـم محمَّــدُ [٣] جـاعلٌ ۞ بقبضتــهِ الـــبرين دونَ مطـــاولِ

لَعَمْــري إذا نـدري الأمــورَ فإنّمــا ۞ زوالُ العَنَــا بـــينَ القنــا والقنـــابلِ

وغــرُّ العُلَـى فــوقَ العــوالي دواهيًــا ۞ ونيـلُ المنـــى دونَ المنـــى والمنـــاضلِ

لَنِعْــمَ نــداءُ الحــربِ في كـلّ أمّــةٍ ۞ أنــاخَ عليهــا دَهْرَهَــا بـــالكلاكلِ

لِيَنْشُــرَ مــن أكفانِــهِ كُــلَّ ميــتٍ ۞ ويوقــظَ مــن تهويمِـه كـلَّ غــافلِ

فذلــك أمـــرٌ لا يـــزالُ مجـــدّداً ۞ نشــاهدُهُ فَلْيَذْكُــرَنْ كُــلُّ ذاهــلِ

إذا ضـاقَ عنـهُ النّـثرُ فـالبحرُ واسـعُ ۞ بنــا والقوافِــي رافــداتُ الفواصــلِ

۞۞۞

٠٠

(١) عبد الرَّحمن النّاصر الأموي بعد جدّه عبد الرَّحمن الدّاخل .

(٢) صلاح الدِّين يوسف بن أيوّب ، وقبله نور الدِّين زنكي الملقّب بالملك العادل .

(٣) محمَّد الفاتح العثمانيّ .

في الفخر والحماسة

قال عنترة العبسي [1] :

إذا كشف الزّمان لك القناعا ۞ ومدّ إليك صرفُ الدّهر باعا
فلا تخش المنيّة والتقيها ۞ ودافع ما استطعت لها دفاعا
ولا تختر فراشًا من حرير ۞ ولا تبك المنازل والبقاعا
وحولك نسوة يندبن حزنا ۞ ويهتكن البراقع واللفاعا
يقول لك الطّبيب دواك عندي ۞ إذا ما جسّ كفَّكَ والذّراعا
ولو عرف الطّبيب دواء داء ۞ يردّ الموت ما قاسا النزاعا
وفي يوم المصانع قد تركنا ۞ لنا بفعالنا خبراً مشاعا
أقمنا بالذوابل سوق حرب ۞ وصيّرنا النّفوس لها متاعا
حصاني كان دلاّل المنايا ۞ فخاض غمارها ، وشرى وباعا
وسيفي كان في الهيجا طبيبا ۞ يداوي رأس من يشكو الصّداعا
أنا العبد الّذي خُبِّرْتَ عنه ۞ وقد عاينتني فدع السّماعا
ولو أرسلت رمحي مع جبان ۞ لكان بهيبتي يلقى السّباعا
ملأت الأرض خوفًا من حسامي ۞ وخصمي لم يجد فيها اتّساعا
إذا الإبطال فرّت خوف بأسي ۞ ترى الأقطار باعًا أو ذراعا

---

(١) جواهر الأدب : ٢/٢٦٢ ، ٢٦٣ .

وقال أيضًا :

لا يحمل الحقدَ من تعلو به الرّتب ۞ ولا ينال العلى من طبعه الغضب

للّه درّ بني عبس لقد نسلوا ۞ من الأكارم ما قد تَنْسِلُ العرب

قد كنتُ فيما مضى أرعى جمالهم ۞ واليوم أحمي حماهم كلّما نُكبوا

لئن يعيبوا سوادي فهو لي نسب ۞ يوم النّزال إذا ما فاتني النّسب

إن كنت تعلم يا نعمان أنّ يدي ۞ قصيرة عنك فالأيّام تنقلب

إنَّ الأفاعي وإن لانت ملامسها ۞ عند التّقلّب في أنيابها العطب

اليوم تعلم يا نعمان أيّ فتى ۞ يلقى أخاك الّذي قد غرّه العصب

فتى يخوض غمار الحرب مبتسما ۞ وينثني وسنان الرّمح مختضب

إنْ سلّ صارمَه سالت مضاربُه ۞ وأشرق الجوّ وانشقّت له الحُجب

والخيل تشهد لي أنّي أكفكها ۞ والطّعن مثل شرار النّار يلتهب

إذا التقيتُ الأعادي يوم معركة ۞ تركت جمعهم المغرور ينتهب

ليَ النّفوسُ وللطّير اللّحوم وللـ ۞ ـوحش العظام وللخيّالة السلَّب

لا ابعد اللّه عن عيني غطارفة ۞ إنسًا إذا نزلوا جنًّا إذا ركبوا

أسود غاب ولكن لا نيوب لهم ۞ إلاّ الأسنّةُ والهنديّة القضب

تعدو بهم أعوجيات مضمّرة ۞ مثل السّراحين في أعناقها القبب

ما زلت ألقى صدور الخيل مندفعا ۞ بالطّعن حتّى يضجّ السّرج واللبب

فالعُمْيُ لو كان في أجفانهم نظروا ۞ والخرس لو كان في أفواههم خطبوا

والنّقع يوم طراد الخيل يشهد لي ۞ والضّرب والطّعن والأقلام والكتب

وقال عنترة أيضًا :

حكّم سيوفك في رقاب العُذّلِ ⊛ وإذا نزلت بدار ذُلٍّ فارحل [(١)]

وإذا الجبان نهاك يوم كريهة ⊛ خوفًا عليك من ازدحام الجحفل

فاعص مقالته ولا تحفل بها ⊛ واقدم إذا حلّ اللقا في الأوّل

واختر لنفسك منزلاً تعلو به ⊛ أو مت كريمًا تحت ظلّ القسطل

إن كنتُ في عداد العبيد فهمّتي ⊛ فوق الثّريّا والسماك الأعزل

أو أنكرت فرسان عبس نسبتي ⊛ فسنان رمحي والحسام يُقِرُّ لي

وبذابلي ومهنّدي نلت العلى ⊛ لا بالقرابة والعديد الأجزل

قال الفرزدق [(٢)] :

لنا العزُّة القعساء والعدد الّذي ⊛ عليه إذا عُدَّ الحصى يتخلّف

ومنّا الّذي لا ينطق النّاس عنده ⊛ ولكن هو المستأذن المتصرّف

تراهم قعوداً حوله وعيونهم ⊛ مكسرة أبصارها ما تَصَرَّفُ

ترى النّاس إن سرنا يسيرون خلفنا ⊛ وإن نحن أومأنا إلى النّاس وَقَفُوا

ولا عزّ إلاّ عزّنا قاهر له ⊛ ويسألنا النّصف الذّليل فتصف

وما قام عنّا قائم في ندينا ⊛ فينطق إلاّ بالتي هي أعرف

---

(١) جواهر الأدب : ٢/٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٢) جواهر الأدب : ٢/٢٦٧ .

وقال الفرزدق أيضًا (١) :

وأطلس عسال وما كان صاحبا ⊛ دعوت بناري موهنًا فأتاني

فلمّا دنا قلت ادن دونك إنّني ⊛ وإيّاك في زادي لمشتركان

فبتّ أقدّ الزّاد بيني وبينه ⊛ على ضوء نار مرّة ودخان

وقلت له لما تكشر ضاحكا ⊛ وقائم سيفي في يدي بمكان

تعش فإن عاهدتني لا تخونني ⊛ نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

وأنت امرؤ يا ذئب والغدرَ كنتُما ⊛ أخيين كانا أُرْضِعَا بلبان

ولو غَيرنا نبِّهتَ تلتمس القِرى ⊛ رماك بسهم أو شباة سنان

قال أبو تمّام (٢)

السّيف أصدق إنباء من الكتب ⊛ في حدّه الحدّ بين الجِدّ واللّعب

بيضُ الصّفائح لا سود الصّحائف في ⊛ متونهّن جلاءُ الشكّ والرِّيبِ

والعلم في شهب الأرماح لامعةً ⊛ بين الخمسين لا في السّبعة الشّهب

أين الرّواية أم أين النّجوم وما ⊛ صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

تخرّصًا وأحاديثًا ملفّقة ⊛ ليست بنبع إذا عُدّت ولا غَرَبِ

عجائبا زعموا الأيّام مجفلة ⊛ عنهنّ في صفر الأصفار أو رجب

وخوّفوا النّاس من دهياءَ مظلمةٍ ⊛ إذا بدا الكوكب الغربيّ ذو الذّنب

---

(١) جواهر الأدب : ٢/٢٦٦ ، ٢٦٧ .

(٢) ديوان أبي تمّام : ١/٤٠ .

وصيّروا الأبرج العليا مرتّبةً ۞ ما كان منقلبًا أو غير منقلب
يقضون بالأمر عنها وهي غافلةٌ ۞ ما دار في فلك منها وفي قطب
لو بيّنت قطّ أمراً قبل موقعه ۞ لم تخف ما حلّ بالأوثان والصُّلُبِ
فتحَ الفتوحِ تعالى أن يحيط به ۞ نظم من الشّعر أو نثر من الخطب
فتحٌ تفتح أبواب السّماء له ۞ وتبرز الأرض في أثوابها القُشُبِ
يا يوم وقعة عمّوريّة انصرفت ۞ منك المنى حفلا معسولة الحلب
أبقيت جد بني الإسلام في صُعُد ۞ والمشركين ودارَ الشّرك في صَبَبِ
أم لهم لو رجعوا أن تفتدى جعلوا ۞ فداءها كلّ أمّ منهم ، وأبِ
وبرزة الوجه قد أعيت رياضتها ۞ كسرى وصدّت صدوداً عن أبي كَرَبِ
بِكْرٌ فما افترعتها كفّ حادثة ۞ ولا ترقّت إليها همّة النّوب
من عهد اسكندر أو قبل ذلك قد ۞ شابت نواصي اللّيالي وهي لم تَشِبِ

كأنّ الشّرق ليس له فم (١)

كفى الغرب فخراً أنّهُ متقدّم ۞ وإن له مالاً به يتنعّم
وإن له في البرّ جيشًا عرمرما ۞ يؤيّده في البحر جيش عرمرم
نعم هو أرقى خطّة بشريّة ۞ سمت باتّباع العلم ، والعلمُ سُلَّمُ
تَرَقَّى فلمّا اشتدّ ساعده عتا ۞ فبات يغيظ الشّرق والشّرق يكظم
يطيل على إجحافه واعتسافه ۞ سكوتًا كأنّ الشّرق ليس له فم
فيا أيّها الغرب المدلّ بنفسه ۞ رويدك ما هذا الجفاء المذمم

(١) نقلاً من ديوان الزّهاوي ، ص١٥٢ - ١٥٣ .

ألم يك هذا الشّرق في الزّمن الّذي ۞ مضى لك أستاذاً كبيراً يعلم
مضى زمن للعلم والشّرق زاهر ۞ على عهده والغرب إذ ذاك مظلم
فكانت سماء العلم في الشّرق تحتوي ۞ على أنجمٍ والغرب ما فيه أنجم
وكان ظلام الجهل في الغرب عابسا ۞ وكان ضياء العلم في الشّرق يبسم
فما كان يطغيه هناك رقيّه ۞ ولا يزدهيه أنَّهُ متقدّم
فيا غرب لا تجرح من الشّرق قلبه ۞ بإيراد دعوى أنّك اليوم أعلم
رويدك لا تغترّ بالدّهر كلّ ذا ۞ فليس بباق فيه بؤسي وأنعم
بماذا ترى أنّ ارتقاءك عهده ۞ يدوم وأنّ الشّرق لا يتقدّم
أتزعم أنّ الشّرق يلبث صاغراً ۞ أمامك مغصوبًا وأنت المكرّم
وتبقى عليه هكذا متسيطراً ۞ تمصّ دم الأموال منه وتهضم
ألا اصبر عليه نصف قرن فإنّه ۞ سيرقى به لو أنَّهُ منك يسلم
سينهض من بعد الخمول إلى العلا ۞ ويُرجع مجداً دارسًا ويُتَمِّمُ
نعم فسدت في الشّرق بعض عروقه ۞ ولكن بجسم الشّرق ما فسد الدم
قد ظنّ أهل الغرب أو بعض أهله ۞ وبعض ظنون النّاس بالنّاس مأثم
بأنّ بقاء المسلمين جميعهم ۞ على الجهل أعصاراً من الدين ينجم
لقد جهلوا الإسلام كلّ جهالة ۞ فآذوه ذمًّا شأن من ليس يفهم
وقالوا بَنَى الإسلامُ عمران أهله ۞ زمانًا وأمّا اليوم فهو يهدِّم
وعدوّا من الأسباب وهي عديدة ۞ لديهم حجاب المسلمات وأعظموا
وليس من الدِّين الحجاب لو أنّنا ۞ رجعنا إلى أحكامه نتفهّم
فإن كان نصّ قائل بوجوبه ۞ ولا نصّ فيه حسبما أنا أعلم

قال المقنّع الكندي :

يلومنـــي في الدَّيْـــن أهلـــي وإنّمـــا ۞ ديونـي في أشـياء تكسـبهم حمـدا
أسـدّ بهـا مـا قـد أخلّـوا وضيّعـوا ۞ ثغـور حقـوق مـا أطـاقوا لها سـدّا
وفي جفنـة مـا يُغْلَـقُ البـابُ دونهـا ۞ مكلّلـــة لحمًـــا مدفّقـــة ثَـــرْدا
وفي فـــرس نهـــد عتيـــق جعلتـــه ۞ حجابًـا لبيـتي ثُـمَّ أخدمتــه عبـدا
وإنّ الّـذي بيـني وبـين بـني أبـي ۞ وبـين بـني عمّـي لمختلـف جـدّا
إذا أكلـوا لحمـي وفّـرت لحومهـم ۞ وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وإن ضيّعـوا غيـبي حفظـت غيوبهـم ۞ وإن هم هووا غَـيٍّ هويت لهم رشدا
وليسـوا إلى نصـري سـراعًا وإن هـمُ ۞ دعونـي إلى نصـرٍ أتيتهـمُ شـدّا
ولا أحمـل الحقـد القديـم عليهـم ۞ وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهـم جـلّ مـالي إن تتـابع لي غنـى ۞ وإن قـلّ مـالي لم أكلفهـمُ رِفـدا
وإنـي لعبـد الضّيـف مـا دام نـازلا ۞ ومـا شـيمةٌ لي غيرُهـا تشـبه العبـدا

(١) ملكنـا فكـان العفـو منّـا سـجيّة ۞ فلمّـا ملكتـم سـال بـالدم أبطـح
وحلّلتـم قتـل الأسـارى وطالمـا ۞ غدونا علـى الأسـرى نمـنّ ونصفـح
فحسـبكم هـذا التّفـاوت بيننـا ۞ وكـلّ إنـاء بـالذّي فيـه ينضـح

وقال آخر :

شـربنا بكـأس الفقـر يومًـا وبـالغنى ۞ ومـا منهمـا إلاّ سـقانا بـه الدّهـر
فمـا زادنـا بغيًـا علـى ذي قرابـة ۞ غِنانـا ولا أزرى بأحسـابنا الفقـر

---

(١) نقلاً من كتاب جواهر الأدب : ٤٦١/٢ .

قال البارودي : [١]

أنا لا أقرّ على القبيح مهابة ۞ إن القرار على القبيح نِفاقُ

قلبي على ثقة ونفسي حرّة ۞ تأبى الدّنايا ، وصارمي ذلاق

فعلام يخشى المرء فرقة روحه ؟ ۞ أوليس عاقبة الحياة فِراق

فارغب بنفسك وهي في أثوابها ۞ إن لم تكن شامٌ فتلك عِراق

لا خير في عيش الجبان يحوطه ۞ من جانبيه الذلّ والإملاق

عابوا عليَّ حميّتي ونكايتي ۞ والنّار ليس يَعيبها الإحراق

فأضرحهُمُ ضرح العيون قذاتَها ۞ وحذارِ ، لا تعلق بك العُلاّقُ

فالنّاس أشباه ، وشتّى بينهم ۞ تدنو الجسوم وتبعد الأخلاق

فاعرفهم ، واحذر تشابه أمرهم ۞ لا تستوي الأغلال والأطواق

لا تحسبنّ الرّفق ينزع غلّهم ۞ الشرّ داء ماله إفراق [٢]

وقال أيضًا : [٣]

فلو أنّ ما يعطي الفتى قدر نفسه ۞ لما بات رئبال الشّرى ، وهو جائع

ودع كلّ ذي عقل يسير بعقله ۞ ينازع من أهوائه ما ينازع

فما النّاس إلاّ كالذي أنا عالم ۞ قديمًا ، وعلم المرء بالشّيء نافع

---

(١) ديوان البارودي : ٢/٣٠٥ .

(٢) برء وشفاء .

(٣) ديوان البارودي : ٢/٢١٦ .

ولست بعلّام الغيوب ، وإنما ۞ أرى بلحاظ الرأي ما هو واقع

وذرهم يخوضوا ، إنّما هي فتنة ۞ لهم بينها عمّا قليل مصارع

فلو علم الإنسان ما هو كائن ۞ لما نام سمّار ، ولا هَبَّ هاجع

وما هذه الأجسام إلاّ هياكل ۞ مصوّرة ، فيها النّفوس ودائع

فأين الملوك الأقدمون تسنّموا ۞ قلال العلا ؟ فالأرض منهم بلاقع

مضوا وأقام الدّهر ، وانتاب بعدهم ۞ ملوك وبادوا ، واستهلّت طلائعُ

أرى كلّ حيّ ذاهبًا بيد الرّدى ۞ فهل أحد ممّن ترحّل راجع ؟

وقال أيضًا :[1]

سواي بِتَحْنَان الأغاريد يطرب ۞ وغيري باللذات يلهو ويلعب

وما أنا ممّن تأسر الخمر لبّه ۞ ويملك سمعيه اليراع المثقب

ولكن أَخُوُ هَمٍّ ، إذا ما ترجّحت ۞ به سورة نحو العلا راح يدأب

نفى النّوم عن عينيه نفسٌ أبيّةٌ ۞ لها بين أطراف الأسنّة مطلب

بعيد مناطِ الهمِّ : فالغرب مَشْرِقٌ ۞ إذا ما رمى عينيه والشّرق مغرب

له غدوات يتبع الوحشُ ظلّها ۞ وتغدو على آثارها الطّير تَنْعَبُ

هَمَّامَةُ نفسٍ أصغرت كلّ مأرب ۞ فكلفت الأيّامَ ما ليس يُوهَبُ

ومن تكن العلياء همّةَ نفسه ۞ فكلّ الّذي يلقاه فيها محبّب

إذا أنا لم أُعْطِ المكارمَ حقّها ۞ فلا عَزّني خالٌ ، ولا ضمّني أب

ولا حملت درعي كميتٌ طِمِرَّةٌ ۞ ولا دار في كفّي سنان مُذَرَّبُ

---

(١) ديوان البارودي : ٨٩/١ .

خلقت عيوفًا ، لا أرى لابن حرّة ⊛ لديَّ يداً أغضي لها حين يَغْضَب [(١)]

فلست لأمر لم يكن متوقّعًا ⊛ ولست على شيء مضى أتعتّب

أسير على نهج يرى النّاس غيره ⊛ لكلّ امرئ فيما يحاول مذهب

وإنّي إذا ما الشكّ أظلم ليلُه ⊛ وأمست به الأحلام حيرى تشعب

صدعت حِفَافَيْ طُرَّتَيْه بكوكب ⊛ من الرأي لا يَخْفَى عليه المُغَيَّبُ

وبحرٍ من الهيجاء خُضْتُ عبابَه ⊛ ولا عاصمٌ إلاّ الصّفيحُ المُشَطَّب

تظلّ به حمرُ المنايا وسودُها ⊛ حواسرَ في ألوانها تتقلّب

توسطتُه والخيلُ بالخيل تلتقي ⊛ وبيضُ الظُّبا في الهام تبدو وتغرُبُ

فما زلت حتّى بَيَّنَ الكر موقفي ⊛ لدى ساعةٍ فيها العقول تَغَيَّبُ

قال البارودي :

دع الذُّلّ في الدُّنيا لمن خاف حتفه ⊛ فللموت خير من حياة على أذى

ولا تصطحب إلاّ امرءاً إن دعوته ⊛ لدى جمرات الحرب لبَّاك واحتذى

يسرّك عند الأمن فضلاً وحكمة ⊛ ويرضيك يوم الرّوع نبلا مُقَذَّذَا

فيا حبّذا العقل الصّفي وهل أرى ⊛ نصيبًا من الدُّنيا إذا قلت حبّذا

لعمري لقد ناديتُ ، لو أنّ سامعًا ⊛ ونوّهتُ بالأحرار لو أنّ مُنْقِذَا

وطوّفتُ بالآفاق ، حتَّى كأنّني ⊛ أحاول من هذي البسيطةِ ، مُنْقِذَا

---

(١) فيه سقط .

فما وقعت عيني على غير أحمق ❁ غَوِيٍّ يظنّ المجد في الرَّيِّ والغِذَا
إذا ما رأيتُ الشّيء في غير أهله ❁ ولم أستطع ردًّا طرفتُ على قذى
فحتى متى يا دهر أكتم لوعة ❁ تكلّف قلبي كلفةَ الرّيحِ بالشّذا
ألم يأن للأيّام أن تبصر الهدى ❁ فتخفض مأفونًا ، وترفع جهبذا
إذا لم يكن بالدّهر خَبْلٌ لما غدا ❁ يسير بنا في ظلمة الجور

قال البارودي :

فانهض إلى صهوات المجد معتليا ❁ فالباز لا يأو إلاّ عَالِيَ القُلَلِ
ودع من الأمر أدناه لأبعده ❁ في لجّة البحر ما يغني عن الوشل
قد يظفر الفاتك الألْوَى بحاجته ❁ ويُقْعِدُ العجزُ بالهيابة الوَكِلِ
وكن على حذر تسلم فربّ فتى ❁ ألقى به الأمن بين اليأس والوجلِ
ولا يغرَّنْكَ بشر من أخي مَلِقٍ ❁ فرونق الآل لا يشفي من الغَلَلِ
لو يعلم المرء ما في النّاس من دخن ❁ لبات من ودّ ذي القربى على وجل
فلا تثق بوداد قبل معرفة ❁ فالكحل أشبه في العينين بالكَحَلِ
واخش النّميمة ، واعلم أنّ قائلها ❁ يصليك من حرّها نارًا بلا شُعَلِ
كم فريةٍ صدعت أركان مملكة ❁ ومزّقت شمل وُدٍّ غير منفصل
فاقبل وَصَاتِي ، ولا تصرفك لاغيةٌ ❁ عنّي، فما كلّ رام من بني ثُعَلِ
إنّي امرؤ كفّني حلمي ، وأدّبني ❁ كرُّ الجديدين ، من ماض ومقتبَلِ
فما خلعت قناع الحلم عن سفه ❁ ولا مسحت جبين الغُرِّ من خجل
حلبت أَشْطُرَ هذا الدّهر تجربة ❁ وذقت ما فيه من صاب ومن عسل

فما وجدت على الأيّام باقية ۞ أشهى إلى النّفس من حريّة العمل
لكنّنا غرض للشرّ في زمن ۞ أهل العقول به في طاعة الخمل
قامت به من رجال السوء طائفة ۞ أدهى على النّفس من بؤس على شكل
من كلّ وغد يكاد الدّست يدفعه ۞ بغضًا ويلفظه الديوان من ملل
قوم إذا أبصروني مقبلاً وجموا ۞ غيظًا ، وأكبادهم تنقدّ من دغل
فإن يكن ساءهم فضلي ، فلا عجب ۞ فالشّمس وهي ضياء آفة المقل
نزّهت نفسي عمّا يدنّسون به ۞ فنحلة الرّوض تأبى شيمة الجعل

وقال أيضًا :

فما النّاس إلاّ حاسد ذو مكيدة ۞ وآخر محنيّ الضّلوع على دخل
تباع هوى يمشون فيه كما مشى ۞ وسماع لغو ، يكتبون كما يملي
وما أنا والأيّام شتّى صروفها ۞ بمهتضم جاري ، ولا خاذل خلّي
أسير على نهج الوفاء سجيّة ۞ وكلّ امرئ في النّاس يجري على الأصل
تركت ضغينات النّفوس لأهلها ۞ وأكبرت نفسي أن أبِيْتَ على دخل
كذلك دأبي منذ أبصرت حجّتي ۞ وليدًا ، وحبّ الخير من سمة النّبل
وربّ صديق كشف الخبر نفسه ۞ فعاينت منه الجور في صورة العدل
وهبت له ما قد جنى من إساءة ۞ ولو شئت كان السّيف أدنى إلى الفصل
ومستخبر عنّي ، وما كان جاهلاً ۞ بشاني ، ولكن عادة البغض للفضل
أتى سادرًا ، حتّى إذا قرّ أو جست ۞ سويداوه شرًّا ، فأغضى على ذلّ
ومن حدّثته النّفس بالغيّ بعدما ۞ تناهى إليه الرّشد سار على بطل

وقال أيضًا :[1]

سـجيّة نفـس آثـرت مـا يسـرّها ✿ وللنّـاس أخـلاق علـى وِفْقِهـا تجـري
ملكت يدي مـن كـلّ سـوء ومنطقـي ✿ فعشت بريء النّفس من دنس الغدر
وأحسـنت ظنّـي بـالصّديق وربمـا ✿ لقيـت عـدوي ، بالطّلاقـة والبشـر
فـأصبحت مـأثور الخـلال محبّبـا ✿ إلى النّاس ، مرضى السّريرة والجهـر
فمـا أنـا مطلـوب بوتـر لمعشـر ✿ ولا أنـا ملهـوف الجنـان علـى وِتْـر
رضيـت مـن الدُّنيـا وإن كنـت مُثْرِيًـا ✿ بعفّـة نفـس لا تميـل إلى الوَفْـرِ
وأخلصـت لـلرّحمن فيمـا نويتـه ✿ فعاملني بـاللّطف مـن حيـث لا أدري
إذا مـا أراد اللّـه خـيراً بعبـده ✿ هـداه بنـور اليسـر في ظلمـة العسـر
فيابن أبـي (والنّـاس أبنـاء واحـد) ✿ تقلّـد وصـاتي فهـي لؤلـؤة الفكـر
إذا شئت أن تحيـا سـعيداً فـلا تكـن ✿ لـدوداً ولا تدفـع يـد اللـين بالقسـر
ولا تحتقـر ذا فاقـة ، فلربمـا ✿ لقيـت بـه شـهمًا يَـبُزُّ علـى المثري
فـربّ فقـير يمـلأ القلـب حكمـة ✿ وربّ غـنيّ لا يريـش ولا يـبري
وكـن وسـطًا ، لا مشـرئبًّا إلى السّـها ✿ ولا قانعًـا يبغـي الـتزلّف بـالصّغر
فـأحمد أخـلاق الفتـى مـا تكافـأت ✿ بمنزلـةً بـين التّواضـع والكـبر
ولا تعـترف بـالذلّ في طلـب الغنـى ✿ فـإنّ الغنـى في الـذلّ شـرّ مـن الفقـر
وإيّـاك والتّسـليم بـالغيب قبـل أن ✿ تـرى حجّـة تجلو بهـا غـامض الأمـر
ودار الّـذي ترجـو وتخشـى وداده ✿ وكـن مـن مـودّات القلـوب علـى حـذر

---

(١) من ديوان البارودي : ٢/١٤ .

فقد يغدر الخلّ الوفي لهفوة ۞ ويحلو الرّضا بعد العداوة والشرّ

وفي النّاس من تلقاه في زيّ عابد ۞ وللغدر في أحشائه عقرب تسري

إذا أمكنته فرصة نزعت به ۞ إلى الشرِّ أخلاق نبتن على غمر

ولا تحسبنّ الحلم يمنع أهله ۞ وقوع الأذى فالماء والنّار من صخر

فهذي وصاتي ، فاحتفظها تفز بما ۞ تمنيّت من نيل السّعادة في الدّهر

فإنّي امرؤ جرّيت دهري ، وزادني ۞ به خبرة صبري على الحلو والمرّ

بلغت مدى خمسين وازددت سبعة ۞ جعلت بها أمشي على قدم الخضر

فكيف تراني اليوم أخشى ضلالة ۞ وشيبيَ مصباح على نوره أسري

قال المتنبي[1] :

إذا غامرت في شرف مروم ۞ فلا تقنع بما دون النّجوم

فطعم الموت في أمر حقير ۞ كطعم الموت في أمر عظيم

يرى الجبناء أنّ العجز عقل ۞ وتلك خديعة الطّبع اللئيم

وكلّ شجاعة في المرء تغني ۞ ولا مثل الشّجاعة في الحكيم

وكم من عائب قولاً صحيحًا ۞ وآفته من الفهم السّقيم

۞۞۞

(١) جواهر الأدب : ٢/٤٥ .

الفضائل

فضل مكّة المكرّمة شرّفها اللّه تعالى

قال السيّد البَطَلْيوسي [1] :

أمكّة تفديك النّفوس الكرائم ❁ ولا برحت تنهلّ فيك الغمائم

وكُفَّتْ أَكُفُّ السّوء عنك وبُلِّغَتْ ❁ مناها قلوبٌ كي تراك حوائم

فإنّك بيت اللّه والحرم الّذي ❁ لعزّته ذلّ الملوك الأعاظم

وقد رفعت منك القواعدُ بالتّقى ❁ وشادتك أيد برّة ومعاصم

وساويت في الفضل المقام كلاكما ❁ تنال به الزّلفى وتمحى المآثم

ومن أين تعدوك الفضائل كلّها ❁ وفيك مقامات الهدى والمعالم

ومبعث من ساد الورى وحوى العلا ❁ بمولده عبد الإله وهاشم

نبيّ حوى فضل النّبيين واغتدى ❁ لهم أوّلاً في فضله وهو خاتم

وفيك يمين اللّه يلثمها الورى ❁ كما يلثم اليمنى من الملك لاثم

---

(١) هو الشّيخ الإمام النّحوي الأديب اللّغوي ، أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن السيّد البَطَلْيوسي ، بفتح الباء والطاء ، نزيل بلنسية ، ولد عام ٤٤٤ هـ ، وتوفي عام ٥٢١ هـ . قال الإمام السيوطي في طبقات النّحاة : كان البطليوسي عالمًا باللّغات والآداب ومتبحّرًا فيهما ، أُنتصب لإقراء علم النّحو ، واجتمع عليه النّاس ، وهو شيخ القاضي عياض ، ومات ببلنسية . « كتاب أزهار الرّياض » : ١٠١/٣ .

وفيك لإبراهيم إذ وطيء الثّرى ۞ ضحى قدم برهانها متقادم

دعا دعوة فوق الصّفا فأجابه ۞ قطوف من الفجّ العميق وراسم

فأعْجِب بدَعوى لم تلج مِسْمَعَيْ فتى ۞ ولم يعها إلاّ ذكيّ وعالم

ألهفي لأقدار عدت عنك همتي ۞ فلم تنهض منّي إليك العزائم

فيا ليت شعري هل أرى فيك داعيا ۞ إذا ما دعت لله فيك الغمائم

وهل تمحون منّي خطايا اقترفتها ۞ خطى فيك لي أو يعملات رواسم

وهل لي من سقيا حجيجك شربة ۞ ومن زمزم يروي بها النّفس حائم

وهل لي في أجر الملبّين مقسم ۞ إذا بذلت للنّاس فيك المقاسم

وكم زار مغناك المعظّم مجرم ۞ فحطّت به عنه الخطايا العظائم

ومن أين لا يضحي مرجيك آمنا ۞ وقد أمنت فيك المها والحمائم

لئن فاتني منك الّذي أنا رائم ۞ فإنّ هوى نفسي عليك لدائم

وإن يحمني حامي المقادير مقدما ۞ عليك فإنّي بالفؤاد لقادم

عليك سلام اللّه ما طاف طائف ۞ بكعبتك العليا وما قام قائم

إذا نسم لم تهد عنّي تحيّة ۞ إليك فمهديها الرّياح النّواسم

أعوذ بمن أسناك من شرّ خلقه ۞ ونفسي فما منها سوى اللّه عاصم

وأهدى صلاتي والسّلام لأحمد ۞ لعلّي به من كبة النّار سالم

۞۞۞

الأخلاق وفضلها

الأخلاق فوق العلم

(١)

علم يعززه من دولةٍ عَلَمُ ❁ في كلّ عصر به قد سادت الأمم

ودولة القوم لم تثبت قواعدُها ❁ إلاّ بأن سجاياهم لها دَعَمُ

فليس للعلم مهما اعتزّ جانبه ❁ نفعٌ إذا ما السّجايا الغرُّ تَنْعَدِمُ

إذا استحالت سجايا القوم فاسدةً ❁ فليس ينفعهم علمٌ ولا عَلَمُ

وليس يختل حبلُ الملك مضّطربا ❁ إلاّ إذا اختلّت الأخلاق والشّيم

لولا سجايا على حبّ العُلا جُبِلَتْ ❁ ما سادت النّاسُ لا عربٌ ولا عجمُ

لا خير في العيش يغدو فيه صاحبه ❁ وأنفه باحتمال الذلّ مُزْدَلِمُ

ما بال قومي على الإرهاق قد صبروا ❁ كأنّ أشهُرَ قومي كلّها حُرُمُ

قد أنهضتْهُم إلى العلياء وَحْدَتُهم ❁ واليوم أقعدهم عنها إذ انقسموا

كان التّعاون غرزًا في غرائزهم ❁ حازوا به الشّرفَ الوضّاحَ واغتنمُوا

ثُمَّ اعتدوا بعد حين في جوانحهم ❁ نارَ التّخاذل بالشّحناء تضطرم

قد زال روح التّفادي منهمُ ونما ❁ روحُ التّعادي إلى أن ماتت الهمم

ألقى التّخاذل ضعفًا في عزائمهم ❁ فالأجنبيّ عليهم ظَلَّ يحتكم

تعاظموا لعظام يفخرون بها ❁ وهل يكون بعظمِ رمةٍ عِظَمُ

---

(١) ديوان الرّصافي ، ص٤٣٧ .

وقال أحدهم [1] :

عــوّد بنيـك علـى الآداب في الصّغـــر ۞ كيمــا تقــرّ بهــم عينــاك في الكـــبر
فإنّمــــا مثــــل الآداب تجمعهــــا ۞ في عنفوان الصّبـا كـالنّقش في الحجـر
هــي الكنــوز الّـتي تنمــو ذخائرهــا ۞ ولا يُخــاف عليهــا حــادث الغــير
إنّ الأديـــب إذا زلّــت بـــه قـــدم ۞ يهـوي على فـرش الدّيبـاج والسّــرر
النّــاس صنفــان : ذو علــم ومســتمع ۞ واع وســـائرهم كـــاللغو والفكـــر

وقال محمّد عليّ مغربي [2] :

مـــن الشّـــباب شـــباب آثـــروا الأدبـــا ۞ واستعملوا العلم حتّى أصبحــوا شــهبا
ومنهمـــو فئـــة ضلّـــت مســـيرتها ۞ واســتمرأوا اللّهــو والإهمــال واللّعبــا
وأهملــوا الخلــق العــالي .. فدأبهمــو ۞ صيــد اللّذائــذ .. لا خوفًــا ولا أدبــا
وهــؤلاء الألى ضلّــوا فمــا كســبوا ۞ إلاّ التّعاســـة والتّضيـــع والكربـــا

۞۞۞

(١) جواهر الأدب : ٢/٤٦٦ .
(٢) من رباعيّاته ، ص٥١ .

شرف العِلْم وفضله ، وآداب المناظرة

قال الإمام الشّافعيّ[1] :

تَعلَّمْ فليس المرءُ يُولدُ عالمًا ۞ وليس أخو عِلْم كمن هو جاهلُ
وإنَّ كبير القوم لا علم عنده ۞ صغيرٌ إذا التفَّتْ عليهِ الجَحافلُ
وإنَّ صغيرَ القومِ إنْ كان عالمًا ۞ كبيرٌ إذا رُدت إليه المحافل

وقال مؤيّد الدِّين الأصبهانيّ[2] :

العلم زين وتشريف لصاحبه ۞ فاطلب هديت فنون العلم والأدبا
كم سيِّد بطل آباؤه نجب ۞ كانوا الرؤوس فأمسى بعدهم ذنبا
ومقرف خامل الآباء ذي أدب ۞ نال المعالي بالآداب والرّتبا
العلم كنز وذخر لا فناء له ۞ نعم القرين إذا ما صاحب صحبا
قد يجمع المال شخص ثُمَّ يحرمه ۞ عمّا قليل فيلقى الذلّ والحربا
وجامع العلم مغبوط به أبدا ۞ ولا يحاذر منه القوت والسّلبا
يا جامع العلم نعم الذّخر تجمعه ۞ لا تعدلّن به درًّا ولا ذهبا

---

(١) من ديوان الإمام الشّافعيّ ، ص٧٠ .

(٢) نقلاً من كتاب جواهر الأدب ، ص٤٥٠ .

وقال الإمام الشّافعيّ (١) :

سَهَري لتنقيح العلومِ ألذُّ لي ۞ مِنْ وصلِ غانيةٍ وطيب عِنَاقِ

وصرير أقلامي على صفحاتها ۞ أحلى مِنَ الدَّوْكاء والعُشَّاقِ

وألذُّ من نقر الفتاة لدفِّها ۞ نقري لأُلْقي الرَّملَ عن أوراقي

وتمايلي طربًا لحلِّ عويصةٍ ۞ في الدَّرْس أشهى من مُدامةِ ساقِ

وأبيت سهران الدُّجا وتبيتُهُ ۞ نَوْمًا وتبغي بعد ذاك لحاقي !

وقال أيضًا رحمه الله (٢) :

أخي لَنْ تنالَ العلمَ إلاّ بستّةٍ ۞ سأنبيك عن تَفْصيلِهَا ببيانِ

ذكاءٌ وحرصٌ واجتهادٌ وبلغةٌ ۞ وصُحْبةُ أسْتاذٍ وطولُ زمانِ

وقال آخر :

بعشر تنال العلم قوت وصحّة ۞ وحفظ وفهم ثابت في التّعلّم

ودرس وحرص واغتراب وهمّة ۞ وشرخ شباب واجتهاد معلّم

أفِدْ العلم ولا تبخل به ۞ وإلى علمك علمًا فاستزدد

من يفده يجزه اللّه به ۞ وسيغني اللّه عمّن لم يفد

---

(١) من ديوان الإمام الشّافعيّ ، ص٦٣ .

(٢) من ديوان الإمام الشّافعيّ ، ص٨١ .

وقال أحمد شوقي [١] :

العلم يغرس كلّ فضل فاجتهد ۞ ألاّ يفوتك فضل ذاك المغرس
واعلم بأنّ العلم ليس يناله ۞ من همّه في مطعم أو ملبس
إلاّ أخو العلم الّذي يزهو به ۞ في حالتيه عاريًا أو مكتسي
فاجعل لنفسك منه حظًّا وافرا ۞ واهجر له طيب الرّقاد وعبّس
فلعلّ يومًا أن حضرت بمجلس ۞ كنت الرئيس وفخر ذاك المجلس

قال حافظ إبراهيم :

وإنّي لتُطْرِبُني الخلال كريمةً ۞ طرب الغريب بأوبة وتلاق
ويهزّني ذكر المروءة والنّدى ۞ بين الشّمائل هِزَّةَ المشتاق
فإذا رزقت خليقة محمودة ۞ فقد اصطفاك مقسّم الأرزاق
فالنّاس هذا حظّه مال وذا ۞ علم وذاك مكارم الأخلاق
والمال إن لم تدّخره محصّنا ۞ بالعلم كان نهاية الإملاق
والعلم إن لم تكتنفه شمائل ۞ تعليه كان مطيّة الإخفاق
لا تحسبنّ العلم ينفع وحده ۞ ما لم يُتَوَّج ربُّه بخلاق
كم عالم مدّ العلوم حبائلا ۞ لوقيعة وقطيعة وفِراق
يدعونه عند الشّقاق وما دَرَوْا ۞ إنَّ الّذي يدعون خِدْنُ شقاقِ

---

(١) نقلاً من كتاب جواهر الأدب ، ص٤٥١ .

قال الرّصافي :[1]

يقولــون في الإســلام ظلمًــا بأنّــه ۞ يصــدّ ذويــه عــن طريــق التقــدّم

فـإن كـان ذا حقًّـا فكيـف تقدّمـت ۞ أوائلــه في عهدهــا المتقــدّم

وإن كـان ذنـب المسلم اليـوم جَهْلَـه ۞ فماذا على الإسلام من جهـل مسلم

هـل العلـم في الإسـلام إلاّ فريضـةٌ ۞ وهـل أمّـة سـادت بغـير التّعلّـم

لقد أيقـظ الإسلامُ للمجـد والعلـى ۞ بصـائرَ أقـوام عـن المجـد نُـوَّمِ

وحلـت لـه الأيّـام عنـد قيامـه ۞ حَبَاهَـا وأبـدت منظـر المتبسّـم

فاشـرق نـور العلـم مـن حجراتـه ۞ علـى وجـه عصـر بالجهالـة مظلـم

ودكّ حصـون الجاهليّـة بـالهدى ۞ وقـوّض أطنـاب الضّـلال المخيِّـمِ

وانشـط بـالعلم العزائـم وابتنـى ۞ لأهلِيـه مجـداً ليـس بـالمتهدّم

وأطلـق أذهـان الـورى مـن قيودهـا ۞ فطـارت بافكـار علـى المجـد حُـوَّمِ

وفـكّ إسـار القـوم حتّـى تحفّـزوا ۞ نهوضًـا إلى العليـاء مـن كـلّ مَجْثِمِ

فخلّـوا طريقًـا للبـداوة مَجْهَـلاً ۞ وسـاروا بنهـج للحضـارة مَعْلَـم

فـدوّت بمسـتن العلـى نهضـاتهم ۞ كزعـزع ريـح أو كتيّـار عيلـم

وعمّا قليـل طبـق الأرض حكمهـم ۞ بأسـرع مِـنْ رفـع اليديـن إلى الفـم

وقد حـاكت الأفكار عنـد اصطدامها ۞ تلألـؤ بـرقِ العـارضِ المتهـزِّم

ولاحـت تباشـير الحقـائق فـانجلت ۞ بها عـن بـني الدُّنيـا شـكوكُ التوهّـم

ومـا تـرك الإسـلام للمـرء مـيزة ۞ علـى مثلـه ممّـن لآدم ينتمـي

---

(١) ديوان الرّصافي ، ص١٢٨ .

فليس لمثر نقصُه حقَّ مُعْدِمٍ ❁ ولا عربيّ بخسه فضلَ أعجم

ولا فخر للإنسان إلاّ بسعيه ❁ ولا فضل إلاّ بالتّقى والتكرّم

وليس التُّقَى في الدِّين مقصورةً على ❁ صلاة مصلّ أو على صوم صُوّمِ

ولكنّها ترك القبيح وفعل ما ❁ يؤدّى من الحسنى إلى نيلِ مَغْنَم

فتقوى الفتى مسعاه في طلب العلا ❁ سوى ما خصّت التّقوى بترك المحرّم

فهل مثل هذا الأمر يا لأولي النُّهى ❁ يكون عِثاراً في طريق التّقدّم

وإن لم يكن هذا إلى المجد سلّمًا ❁ فأيّ ارتقاء بعد أم أيُّ سلّم

علون وكنتم سافلين فلم نكن ❁ لنبدي إليكم جفوة المتهكّم

ولم نترك الحسنى أوان جدالكم ❁ وتلك لعمري شيمة المتحلّم

فلمّا استدار الدّهر بالأمر نحوكم ❁ كشفتم لنا عن منظر متجهّم

فلا تأمنوا الأيّام إنَّ صروفها ❁ كما هي إذ أودت بعاد وجرهم

إذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى ❁ وسيرته عدلاً وأخلاقه حسنا

فبشّره أنّ اللّه أولاه فتنة ❁ تغشيه حرمانًا وتوسعه حزنا

قال أحمد شوقي [1] :

قم للمعلّم وفّه التّبجيلا ❁ كاد المعلّم أن يكون رسولا

أعلمت أشرف أو أجلّ من الّذي ❁ يبني وينشئ أنفسًا وعقولا ؟

سبحانك اللّهم ، خير معلّم ❁ علّمت بالقلم القرون الأولى

---

(١) جواهر الأدب : ٢/٤٥١ .

أخرجت هذا العقل من ظلماته ۞ وهديته النّور المبين سبيلا
وطبعته بيد المعلّم ، تارة ۞ صدأ الحديد ، وتارة مصقولا

قال الطّغرائيّ :

(١) العلم مُبْلِغُ قومٍ ذروةَ الشّرف ۞ وصاحب العلم محفوظ من التّلف
يا صاحب العلم مهلاً لا تدنسه ۞ بالموبقات ، فما للعلم من خلف
العلم يرفع بيتًا لا عماد له ۞ والجهل يهدم بيت العزّ والشّرف

قال الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه :

(٢) النّاس من جهة التمثال أكفاء ۞ أبوهم آدمُ والأمّ حوّاء
فإن يكن لهم في أصلهم شرف ۞ يفاخرون به فالطّين والماء
ما الفخر إلاّ لأهل العلم إنّهم ۞ على الهدى لمن استهدى أدلاّء
وقدر كلّ امرئ ما كان يحسنه ۞ والجاهلون لأهل العلم أعداء
وإن أتيت بجود ذوي نسب ۞ فإن نسبتنا جود وعلياء
ففز بعلم تعش حيًّا به أبدا ۞ النّاس موتى وأهل العلم أحياء

۞۞۞

---

(١) جواهر الأدب : ٢/٤٤٩ .

(٢) جواهر الأدب : ٢/٤٥ .

فوائد الدّروس العلميّة

[1] إذا لم يكن في مجلس الدّرس نكتة ۞ بتقرير إيضاح لمشكل صورةِ
وعزو غريب النّقل أو حلّ مقفل ۞ أو إشكال أبدته نتيجة فكرة
فدع سعيه وانظر لنفسك واجتهد ۞ ولا تَتْرُكَنّ فالتّرك أقبح خلّة

قال بعض العلماء :

المقصود بالتأليف سبعة أشياء هي :

أوّلاً : إيجاد شيء لم يسبق إليه ؛ فيؤلّفه . **ثانيًا** : أو شيء ألّف ناقصًا ؛ فيكمل . **ثالثًا** : أو خطأ ؛ فيصحّح . **رابعًا** : أو مشكل ؛ فيشرح . **خامسًا** : أو مطوّل ؛ فيختصر . **سادسًا** : أو متفرّق ؛ فيجمع . **سابعًا** : أو منثور ؛ فيرتّب .

وقد نظمها بعضهم فقال

ألا فاعلمن أنّ التأليف سبعة ۞ لكلّ لبيب في النّصيحة خالص
فشرح لإغلاق وتصحيح خطأ ۞ وإيداع حَبْرٍ مُقْدِمٍ غيرِ ناقص
وترتيب منثور وجمع مفرّق ۞ وتقصير تطويل وتتميم ناقص

(١) من كتاب أزهار الرّياض : ٣/٣٤ .

أدب المناظرة

قال الإمام الشّافعيّ (١) :

إذا كنت ذا فضل وعلم ۞ بما اختلف الأوائل والأواخر
فناظر مَنْ تناظر في سكون ۞ حليمًا لا تلحّ ولا تكابر
يفيدك ما استفاد بلا امتنان ۞ من النُّكَتِ اللّطيفة والنّوادر
وإيّاك اللَّجُوجَ ومن يرائي ۞ بأنّي قد غَلَبْتُ ومن يفاخر
فإنّ الشرّ في جنبات هذا ۞ يُمَنِّي بالتّقاطع والتدابر

۞۞۞

فضل العقل ، وذم الجهل

قال محمَّد عليّ مغربي (٢) :

العقل أثمن ما وُهبت وإنّه ۞ نور الحياة وثغرها البسّام
فاعجب لقوم هدموه بجهلهم ۞ والعقل عند العارفين ذمام

---

(١) من ديوان الإمام الشّافعيّ ، ص٤٥ .

(٢) من رباعيّاته ، ص٥٢ .

طلبـوا اللذائـذ في السّموم وأسـرفوا ۞ فـإذا اللذائـذ كلّهـا أوهـام
فـإذا العقـول تهدّمـت وتغـيّرت ۞ فـالقوم مـن بعـد العقـول حطـام

قال الزّهاوي [1] :

يـا جهـل يـأتيك عفـواً مـا تحاولـه ۞ يا جهل من دون سعي منك أو تعب
لا شيء في الشّرق أعلى منـك منزلـة ۞ يا جهل حسبك هذا المجد من حسب
العلـم يعجـز عـن إدراك بغيتـه ۞ وأنـت تبلـغ مـا ترجـوه عـن كثـب
تـأتي المحـافلَ محفوفـًا بتكرمـة ۞ والعلـم يرجـع مطـروداً إلى العَقِـبِ
مـن أيـن للعلـم أردان مزخرفـة ۞ من أيـن للعلم أطـواقُ مـن الذّهـبِ
يا جهل قد ساعدتك الحال فاعلُ وتـه ۞ وارفـل كمـا شئت في أثوابـك القُشُـبِ

قال الطّغرائيّ [2] :

العقـل حلّـة فخـر مَـنْ تسـربلها ۞ كـانت لـه نسبًا تغـني عـن النّسـب
والعقـل أفضـل مـا في النّـاس كلّهـم ۞ بالعقل ينجو الفتى من حومة الطّلب
وأفضـل قِسـمِ اللّـه للمـرء عقلـه ۞ فليـس مـن الخـيرات شـيء يقاربـه
يعيـش الفتـى بـالعقل في النّـاس إنّـه ۞ على العقـل يجـري علمـه وتجاربـه

---

(١) نقلاً من ديوانه ، ص١٣٠ .

(٢) جواهر الأدب : ٢/٤٥٣ .

يشين الفتى في النّاس قلّة عقله ۞ وإن كملت أعراقه ومناسبه
إذا أكمل الرَّحمن للمرء عقله ۞ فقد كملت أخلاقه ومآربه

قال أبو العلاء المعرّي (١) :

ولمّا رأيت الجهل في النّاس فاشيا ۞ تجاهلت حتّى ظُنَّ أنّيَ جاهل
فوا عجبًا كم يدّعي الفضل ناقص ۞ ووا أسفًا كَمْ يظهر النّقص فاضل
وكيف تنام الطّير في وَكناتها ۞ وقد نُصبت للفرقدين الحبائل
ينافس يومي فيَّ أمسٍ تشرّفا ۞ وتحسد أسحاري عليَّ الأصائلُ
وطال اعترافي بالزّمان وصرفه ۞ فلست أبالي من تَغُوّل الغوائل
فلو بان عنقي ما تأسّف منكبي ۞ ولو مات زندي ما بكته الأنامل
إذا وصف الطّائيَّ بالبخل مادرٌ ۞ وعيّر قُسًّا بالفهاهة باقل
وقال السّهى للشّمس أنت ضئيلة ۞ وقال الدّجى يا صبح لونُك حائل
وطاولت الأرض السّماء سفاهة ۞ وفاخرت الشّهب الحصى والجنادل
فيا موت زر إنَّ الحياة ذميمة ۞ ويا نفس جِدّي إنَّ دهركِ هازل

٦٠

۞۞۞

---

(١) جواهر الأدب : ٢/٢٧٤ .

ما جاء في الكتب

فوائد الكتب

لنا جلساء ما نملّ حديثهم ❁ أمينون مأمونون غيبًا ومشهدا
إذا ما خلونا كان خير حديثهم ❁ معينًا على نفي الهموم مؤيّداً
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ❁ وعقلاً وتأديبًا ورأيًا وسؤددا
فلا ريبة تخشى ولا سوء عشرة ❁ ولا نتّقي منهم لسانًا ولا يدا
فإن قلتَ أموات فلست بكاذبًا ❁ وإن قلت أحياء فلست مفندا

نعم المصاحب والجليس كتاب ❁ تلهو به إن خانك الأصحاب
لا مفشيًا عند القطيعة سرّه ❁ وتنال منه حكمة وصواب

هم مؤنسون وألاّفُ غَنِيتُ بهم ❁ فليس لي من أنيس غيرهم أرب
لله من جلساء لا جليسهم ❁ ولا عشيرهم للسّوء مرتقب
لا بادرات الأذى يخشى رفيقُهم ❁ ولا يلاقيه منهم منطق ذرب
أِلقوا لنا حكمًا تبقى منافعها ❁ أخرى الليالي على الأيّام وانشعبوا
فأيما آدب منهم مددي يدي ❁ إليه فهو قريب من يدي كثب
إن شئت من محكم الآثار يرفعها ❁ إلى النبيّ ثقات ، خِيرةٌ ، نُجُبُ

أو شئت من عُرب علمًا بأوّلهم ❁ في الجاهليّة أنبتني به العرب

أو شئت من سير الأملاك من عجم ❁ تنبي وتخبر كيف الرأي والأدب

حتّى كأنّي قد شاهدت عصرهم ❁ وقد مضت دونهم من دهرهم حُقَبُ

❁❁❁

إعارة الكتب

ألا يا مستعير الكتب دعني ❁ فإنّ إعارتي للكتب عار

ومحبوبي من الدُّنيا كتابي ❁ فهل أبصرت محبوبًا يعار

إعارة كتب المرء من لم يكن له ❁ مزيد احتفاظ غاية الظّلم والإفك

فلا تعر الجهّال كتبك مطلقا ❁ ولا سيّما ما كان منها بلا حبك

فيخلو بها من ليس أهلاً فتغتدي ❁ مقلّبة الأوراق عادمة السّبك

إذا قرأت كتابي وانتفعت به ❁ فاحذر وُقِيتَ الرّدى من أن تضيعه

فاردده لي سالمًا إنّي شغفت به ❁ لولا مخافة كتم العلم لم تره

قال الشّيخ ابن سريج في منع إعارة الكتب :

لصيق فؤادي منذ عشرين حجّة ❁ وصيقل ذهني والمفرج عن همّي
عزيز على مثلي إعارة مثله ❁ لما فيه من علم لطيف ومن نظم
جموع لأنواع العلوم بأسرها ❁ فأخلق به ألاّ يفارقه كمّي

❁❁❁

محبّة الكتب والأنس بها

قال أحد المحبّين للكتاب ومطالعته :

أروح وأغدو في التهاب ولهفة ❁ لفرط اشتياقي في مطالعة الكتب
إذا ما خلت نفسي وصرت جليسها ❁ أراني كعطشان على المنهل العذب
أهمّ ولو كانت بحوراً شربتها ❁ ولكنّه لا يرتوي أبداً قلبي

وقال محمّد عليّ مغربي (1) :

بعدما ولّى شبابي ❁ ومضى جلّ صحابي
صرت للكتب أخا ❁ رفقة صدق لا تحابي

---

(١) رباعيّات محمّد عليّ مغربي ، ص١٠ .

أقــــرأ التّـــــاريخ دنيـــــا ۞ مثـــــل حلـــم للصــــواب
عِــــبرة فيهــــا دروس ۞ لـــو جنحنــــا للصّـــواب

كانت عند أبي عليّ القالي نسخة من كتاب الجمهرة، فاحتاج إلى مال فباعه، ثُمَّ قال:

آنسـت بهـا عشـرين عامًـا وبعتهـا ۞ وقـد طـال وجـدي بعدهـا وحنيـني
ومـا كـان ظنّـي أنّـني سـأبيعها ۞ ولـو خلّدتـني في السّجون ديونـي
ولكـن لعجـز وافتقـار وصبيـة ۞ صغـار عليهـم تسـتهلّ عيونـي
فقلـت ولم أملـك سـوابق عـبرتي ۞ مقالـة مكـوي الفـؤاد حزيـن
وقـد تخـرج الحاجـات يـا أمّ مـالك ۞ كرائـم مـن ربّ بهـنّ ضنـين

فأرسلها مع الكتاب الّذي باعه بأربعين دينارًا، فلمّا قرأها المشتري ردّ الكتّاب، وسامح في الدّنانير [1].

۞۞۞

---

(١) من كتاب « البلغة في علوم اللّغة »، ص٣٧٣ .

ما جاء في القلم والدفاتر

ولضربة من كاتب ببنانه ❊ أمضى وأقطع من رقيق حسام
قوم إذا عزموا عداوة حاسد ❊ سفكوا الدِّما بأسنّة الأقلام

إذا افتخر الأبطال يومًا بسيفهم ❊ وعدوّه ممّا يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتّابِ عزًّا ورفعة ❊ مدى الدّهر إنَّ اللّه أقسم بالقلم
إن يخدم القلمَ السّيف الّذي خضعت ❊ له الرِّقاب ودانت خوفه الأمم
فالموت والموت لا شيء يغالبه ❊ ما زال يتبع ما يجري به القلم
كما قضى اللّه للأقلام مذ بريت ❊ إنَّ السّيوف لها مذ أرهفت خدم
وإن عزّ من تهوى ولم تر حيلة ❊ فليس سوى الدِّينارِ أرجى وأرجح
يهون صعب الأمر في كلّ معضلٍ ❊ وفي كل أمر فهو أنجى وأنجح

اجعل نديمك دفترًا في ضمنه ❊ حِكَمُ العُلوم وطيبها في نشره
لتنال آدابًا وتكسب عزّة ❊ يغنيك عن زبد الزّمان وعمره

❊❊❊

اللّغة العربيّة

قال الشّيخ عبد الرّحيم البرعي [١] :

كلام بلا نحو طعام بلا ملح ۞ ونحو بلا شعر ظلام بلا صبح
ومن يتّخذ علمًا ويلغهما يعد ۞ بلا رأس مال في الكلام ولا ربح
إذا شرحوا فضل العلوم فإنّني ۞ غنيّ بفضل النّحو عن ذلك الشّرح
يليق الخطاب اليعربيّ بأهله ۞ فيهدي الوفا للنّقص والحسن للقبح
ومن شرف الإعراب أنّ محمّدا ۞ أتى عربيّ الأصل من عرب فصح
وأنّ المثاني أنزلت بلسانه ۞ بما خصّصته في الخطاب من المدح
يكون مجال الشّعر وصفًا لغيره ۞ ويكفيه ما في سورة الشّرح والفتح
نبيّ دعاه المذنبون وهم على ۞ شفا جرف هار فمدّ يد الصّفح
وأحيا منار الدّين في كلّ وجهة ۞ وذبّ عن الإسلام بالسّيف والرّمح
وأيّام غارات تظلّ بها القنا ۞ محطّمة والخيل مشتدّة الضّبح
وكم في عيون الغيّ بالرّشد من قذى ۞ وكم في فؤاد الشّرك من كبد نزح
محا نوره المشهور نار عنادهم ۞ وهدّ بطود الهدي منهدم الصّرح
وفلّ جهاداً شوكة الشّرك إذ دعا ۞ كباش جهاد المشركين إلى الذّبح
وهدّم رسم الكفر بالسّيف إذ دعى ۞ وأودع ذات البين داعية الصّلح
وما زال يدعونا بتوفيق ربّنا ۞ إلى الملّة الغرّاء والمذهب السّمح

---

(١) نقلاً من ديوان البرعي .

وليّ لمن والى شديد على العدا ❁ عطوف على العافين ذو خلق سجح
حوى الشّرف الأعلى بمجد مؤثّل ❁ منيف وأحساب مهذّبة وضح
ورفعة قدر زانها طيب عنصر ❁ وطول يد أندى من العارض السحّ

قال حافظ إبراهيم عن حال اللّغة العربيّة (١) :

رجعت لنفسي فاتّهمت حصاتي ❁ وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشّباب وليتني ❁ عقمت فلم أجزع لقول عداتي
ولَدْتُ ، ولَمَّا لم أجد لعرائسي ❁ رجالاً أكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب اللّه لفظًا وغاية ❁ وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ❁ وتنسيق اسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن ❁ فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتي ؟
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني ❁ ومنكم وإن عزّ الدّواء أساتي
فلا تكلوني للزّمان فإنّي ❁ أخاف عليكم أن تحين وفاتي
أرى لرجال الغرب عزًّا ومنعة ❁ وكم عزّ أقوام بعزّ لغات
أتوا أهلهم بالمعجزات تفنّنًا ❁ فيا ليتكم تأتون بالكلمات
أيطربكم من جانب الغرب ناعب ❁ ينادي بوأدي في ربيع حياتي
ولو تزجرون الطّير يومًا علمتم ❁ بما تحته من عثرة وشتات
سقى اللّه في بطن الجزيرة أعظما ❁ يَعِزُّ عليها أن تلين قناتي
حفظن ودادي في البلى وحفظته ❁ لهنّ بقلب دائم الحسرات

---

(١) جواهر الأدب : ٣٥٢/٢ ، ٣٥٣ .

وفاخرت أهل الغرب والشّرق مطرق ۞ حياء بتلك الأعظم النّخرات
وأسمع للكتّاب في مصر ضجّة ۞ فأعلم أنّ الصّائحين نعاتي
سرت لوثة الأعجام فيها كما سرى ۞ لعاب الأفاعي في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضمّ سبعين رقعة ۞ مشكلة الألوان مختلفات
إلى معشر الكتّاب والجمع حافل ۞ بسطت رجائي بعد بسط شِكاتي
فإمّا حياة تبعث الميت في البلى ۞ وتنبت في تلك الرءوس رفاتي
وإمّا ممات لا قيامة بعده ۞ ممات لعمري لم يُقس بممات

وقال آخر في اللّغة العربيّة الفصحى :

هي الفصحى وهل لغة سواها ۞ لدى التّبيان تبلغ منتهاها
لقد وضَحَتْ بأحرفها المعاني ۞ فمثل الشّمس تسطع في ضحاها
تسير على اللّسان بكلّ يسر ۞ ويطرب لحنها من قد وعاها
لها وقع على الأسماع عذب ۞ وفي الألباب يحلو مجتناها

وقال آخر في ذمّ اللّحن (١) :

قل لِلألى نطقوا بالضّاد مُدَّغِمًا ۞ لم يُدْغِمْ الضَّادَ آباء لكم فَرَطُوا
أَيحسُنُ اللّحنُ إذا آباؤكم فصحوا ۞ أم يحسُنُ العجزُ إذ آباؤكم نَشِطُوا
فيكم غلوّ وتقصير وبينهما ۞ ضاع المراد أأنتم أمّة وسط !

۞۞۞

(١) ديوان الرّصافي ، ص٣٩٨ .

ما جاء في الغِنَى ، والفقر وكتم حاجات النّفس

قال الشّيخ ابن دقيق العيد :

لعمري لقد قاسيت بالفقر شدّة ۞ وقعت بها في حيرة وشتات
فإن بحت بالشّكوى هتكت مروءتي ۞ وإن لم أبح بالضرّ خفت مماتي
فأعظم به من نازل بلمّة ۞ يزيل حيائي أو يزيل حياتي

قال أحمد بن فنن مولى بني هاشم :

سأكتم حاجاتي عن النّاس كلّهم ۞ ولكنّها لله تبدو وتظهر
لمن لا يردّ السّائلين بخيبة ۞ ويدنو من الدّاعي فيعطي ويكثر

قال مسكين الدّارميّ :

ولست إذا ما سرّني الدّهر ضاحكًا ۞ ولا خاشعًا ما عشت من حادث الدّهر
ولا جاعلاً عرضي لمالي وقاية ۞ ولكن أقي عرضي فيحرزه وفري
أعِفُّ لدى عسري وأبدي تجمّلاً ۞ ولا خير فيمن لا يعفّ لدى العسر
وإنّي لأستحي إذا كنت معسراً ۞ صديقي وإخواني بأن يعلموا فقري

وأقطـع إخوانـي ومـا حـال عهدهـم ۞ حيـاء وإعراضًـا ومـا بـي مـن كـبر
فـإن يـك عـاراً مـا أتيـت فربّمـا ۞ أتى المرءُ يوم السّوء من حيث لا يدري
ومـن يفتقـر يعلـم مكـان صديقـه ۞ ومن يحيى لا يعدم بلاء من الدّهـر
فـإن يـك ألجـأني الزّمـان إليكـم ۞ فبئـس المـوالي في الصّنيعـة والذّخـر

قال أبو بشر الضّرير :

كفـى حَزَنًـا أنّـي أروح وأغتـدي ۞ ومـالي مـن مـال أصـون بـه عرضـي
وأكـبرُ مـا ألقـى صديقـي بمرحبـا ۞ وذلـك لا يكفـي صديقًـا ولا يرضـي
لقـد بغّـض الإعـدام كـلّ أحبّـتي ۞ إليّ وليسـوا مسـتحقّين للبغـض

قال عبد الحيّ طرز الرّيحان :

إذا كـان فقـر المـرء يـزري كمالـه ۞ فتنفـر منـه الأصدقـاء بـلا عـذر
فيا ضيعة الحسنى ويا خيبـة الرّجـا ۞ ويـا مـوت زر إنّ الحيـاة لفـي خسـر

قال الإمام الشّافعيّ :

أرى حُمُراً ترعـى وتُعْلَـفُ مـا تهـوى ۞ وأسداً جياعًـا تظمـأ الدّهـر لا تَـرْوَى
وأشـرافَ قـوم لا ينـالون قُوتَهـم ۞ وقومًـا لئامًـا تـأكل المـنّ والسّـلوى
قضـاءُ لديّـان الخلائـق سـابقُ ۞ وليـس على مـرّ القضـا أحـد يقـوى
فمن عرف الدّهـر الخـؤون وصرفـه ۞ تصـبّر للبلـوى ولم يظهـر الشّـكوى

مـن كـان يملـك درهمـين تعلّمـت ❁ شـفتاه أنـواع الكـلام فقـالا
وتقـدّم الفصحـاء فاسـتمعوا لـه ❁ ورأيتـه بـين الـورى مختـالا
لـولا دراهمـه الّـتي في كيسـه ❁ لرأيتـه شـرّ البريّـة حـالا
إنَّ الغـنيّ إذا تكلّـم كاذبـا ❁ قـالوا صدقـت ومـا نطقـت محـالا
وإذا الفقـير أصـاب قـالوا لم تصـب ❁ وكذبـت يـا هـذا وقلـت ضـلالا
إنَّ الدّراهـم في المواطـن كلّهـا ❁ تكسـو الرّجـال مهابـة وجـلالا
فهـي اللّسـان لمـن أراد فصاحـة ❁ وهـي السّـلاح لمـن أراد قتـالا

إذا صحـب الفتـى عـزّ وسـعد ❁ تحامتـه المكـاره والخطـوب
وعَـدُّوْا ضرطـه عـزًّا وفخـرا ❁ وقـالوا إن فسـا قـد فـاح طيـب

وإذا رأيـت صعوبـة في مطلـب ❁ فـاحمل صعوبتـه علـى الدِّينـار
وابعثـه فيمـا تشـتهيه فإنّـه ❁ حجـر يليِّـن سـائر الأحجـار

وأكـرم مـن يـدقّ البـاب شـخص ❁ ثقيـل الحمـل مشـغول اليديـن
ينـوء إذا مشـى ثقـلاً وحمـلا ❁ ويدفـع بابـه بـالرّكبتين

دع السّـحر يـا مـن تيّم الحبّ قلبـه ❁ فمـا السّـحر إلاّ في نقـوش الدّراهـم
إذا مـا دعـوت الطّـير لبّـاك مسـرعا ❁ بدرهمـك المنقـوش لا بـالعزائم

❁❁❁

ذم الدنيا والاغترار بها

قال الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه (١) :

تـــروم الخلـــد في دار الدنايـــا ۞ فكـــم رام غـــيرك مـــا تـــروم
تنـــام ولم تنـــم عنـــك المنايـــا ۞ تَنَبَّـــهْ للمنيّـــة يـــا نـــؤوم
لهـوت عــن الفنـاء وأنـت تفنـى ۞ فمـا شـيء مـن الدُّنيـا يـدوم
تمـوت غـداً وأنـت قريـر عـين ۞ مـن الشّـهوات في لجـج تعـوم

قال البارودي :

نميـل مـن الدُّنيـا إلى ظـلّ مزنـة ۞ لهـا بـارق فيـه المنيّـة تلمـع
وكيـف يطيـب العيـش والمـرء قـائم ۞ على حـذر مـن هـول مـا يتوقّـع
بنـا كـلَّ يـوم للحـوادث وقعـةٌ ۞ تسـيل لهـا منّـا نفـوس وأدمـع
فاجسـادنا في مطـرح الأرض هُمَّـدُ ۞ وأرواحنـا في مسـرح الجـوّ رُتَّـعُ
ومـن عجـب أنّـا نُسَـاءُ ونرتضـي ۞ ونـدرك أسـباب الفنـاء ونطمـع
ولـو علـم الإنسـان عقبـانَ أمـره ۞ لهـان عليـه مـا يَسُـرُّ ويَفْجَـعُ
تسـير بنـا الأيّـام ، والمـوت موعـد ۞ وتدفعنـا الأرحـام والأرض تبلـع
عفـاء علـى الدُّنيـا ، فمـا لِعداتهـا ۞ وفـاءٌ ، ولا في عيشـها مُتَمَتَّـعُ

---

(١) جواهر الأدب : ٢/٤٢٢ .

وقال أيضًا :

لو كان في الدُّنيا وداد صادق ❁ ما حال بين الخليلين جفاء
فانفض يديك من الزّمان وأهله ❁ فالسّعي في طلب الصّديق هباء

حكم الدّهر وباطل الدُّنيا

قال أبو العلاء المعرّي :

لقد جاءنا هذا الشّتاء وتحته ❁ فقير معرّى أو أمير مدوَّج
وقد يرزق المجدود أقوات أمّة ❁ ويحرم قوتًا واحداً وهو أحوج
ولو كانت الدُّنيا عروسًا وجدتها ❁ بما قتلت أزواجها لا تزوج
فعج يدك اليمنى لتشرب طاهراً ❁ فقد عيق للشّرب الإناء المعوج
على سفر هذا الأنام فخلنا ❁ لأبعد بين واقع فتحرج
ولا تعجبن من سالم إنَّ سالمًا ❁ أخو غمرة في زاخر يتموّج
فلولا دفاع اللّه لاقى من الأذى ❁ كما كان لاقى خامد ومتوّج
إذا وقي الإنسان لم يخش حادثًا ❁ وإن قيل هجام على الحرب أهوج
وأن بلغ المقدار لم ينج سابح ❁ ولو أنّهُ في كبّة الخيل أعوج
فلا تشهرن سيفًا لتطلب دولة ❁ فأفضل ما نلت اليسير المروج

❁❁❁

محاسن الأخلاق ومساوئها

قال الإمام الشّافعيّ (١) :

صُنِ النّفس واحملها على ما يزينها ۞ تعش سالمًا والقول فيك جميل
ولا تولينَّ النّاس إلاّ تجمُّلا ۞ نَبَا بِكَ دهر أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد ۞ عسى نكبات الدّهر عنك تزول
ولا خير في ودّ امرئٍ متلوِّن ۞ إذا الرّيح مالت ، مال حيث تميل
وما أكثر الإخوان حين تعدُّهم ۞ ولكِنَّهم في النّائبات قليل

وقال أيضًا (٢) :

إذا رمت أن تحيا سليمًا من الأذى ۞ ودينك موفور وعرضك صيّن
فلا ينطقنّ منك اللّسان بسوأة ۞ فكلّك سوءات وللنّاس ألسن
وعيناك إن أبدت إليك معائبا ۞ فدعها ، وقل يا عين للنّاس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ۞ وفارق ولكن بالتي هي أحسن

---

(١) من ديوان الإمام الشّافعيّ ، ص٧٠ . ونسبها في جواهر الأدب : ٤٢٤/٢ إلى عليٍّ ﷺ .

(٢) من ديوان الإمام الشّافعيّ ، ص٨٤ .

مضار الحسد

قال الطّغرائي في المقارنة بين العدوّ والحسود [١] :

جامل عدوّك ما استطعت فإنّه ۞ بالرّفق يُطْمَعُ في صلاحِ الفاسد

واحذر حسودك ما استطعت فإنّه ۞ إن نمت عنه فليس عنك براقد

إنَّ الحسود وإن أراك تودّدا ۞ منه أضرُّ من العدوّ الحاقد

ولربما رضي العدوّ إذا رأى ۞ منك الجميل فصار غير معاند

ورضا الحسود زوال نعمتك الّتي ۞ أوتيتها من طارف أو تالد

فاصبر على غيظ الحسود فناره ۞ ترمي حشاه بالعذاب الخالد

أوما رأيت النّار تأكل نفسها ۞ حتّى تعود إلى الرّماد الهامد

تضفو على المحسود نعمة ربّه ۞ ويذوب من كمد فؤاد الحاسد

وقال محمّد عليّ مغربي [٢] :

ولم أر بين أصناف البرايا ۞ أشرّ من الحقود أو الحسود

فهذا صدره يغلي بحقد ۞ فينفث حقده مثل الصّديد

وهذا يحسد النّعمى فيسعى ۞ لمحو الخير في هذا الوجود

كلا الاثنين شرّ وابتلاء ۞ وُقِيتُمُ من حسود أو حقود

---

(١) نقلاً من كتاب جواهر الأدب : ٢/٤٥٥ ، ٤٥٦ .

(٢) من رباعيّاته ، ص٧٤ .

وقال آخر[1] :

أيـا حاسـداً لي علـى نعمـتي ۞ أتـدري علـى مـن أسـأت الأدب ؟
أسـأت علـى اللّـه في حكمـه ۞ لأنّـك لم تـرض لي مـا وهـب
فـأحمد ربـي بـأن زادنـي ۞ وسـدّ عليـك وجـوه الطّلـب
إن شئت قتل الحاسدين تعمّدا ۞ مـن غـير مديات عليـك ولا قـود
وبغـير سـمّ قـاتل وصـوارم ۞ وعقاب ربّ ليس يغفـل عـن أحـد
عظّـم تجـاه عيونهـم محسـودهم ۞ فتراهموا موتى النّفوس مـع الجسد

وقال البارودي :

فقد يحسد المرء ابنه وهو نفسه ۞ وربّ سوار ضاق عن حمله العَضْد
فلا زلت محسوداً على المجد والعلا ۞ فليس بمحمود فتـى ولـه نـدّ

قال إبراهيم النّبهانيّ[2] :

إن يحسـدوني فـإنّي غـير لائمهـم ۞ قبلي من النّاس أهل الفضل قد حسدوا
فـدام لي ولهـم مـا بـي ومـا بهـمُ ۞ ومـات أكثرنـا غيظًـا بمـا يجـد
أنـا الّـذي يجدونـي في صدورهـم ۞ لا أرتقـي صَـدَرًا منهـا ولا أرد

۞۞۞

---

(١) نقلاً من كتاب جواهر الأدب : ٢/٤٨٧ .

(٢) جواهر الأدب : ٢/٢٧٠ .

ما جاء في التأني والصّبر والتوكّل على اللّه

قال أحدهم :

تــأنّ ولا تجـــزع لأمـــر تحاولـــه ✪ فخير اختيار المرء ما اللّه فاعلـه
وما ضمن الرّحمن فلا تخش فوته ✪ وما لا فـلا تجهـد فما أنـت نائلـه
دع السّـعي بالمسـعود تطلبـه المنـى ✪ وسعيٌ بـلا سـعد محـال تحاولـه
هو السّعد يدعو آخر الأمر ساعيا ✪ وحسـبك سـعي في المـرام تناولـه
ولا تبتئس إن أخلف المجد واصطبر ✪ هو الشّهيد قد شييت بصبر أوائله
وما المجد إلاّ الصّبر فهو أبو التّقى ✪ وكم خامل بالصّبر عزّت منازلـه
تفيّــأ بظــلّ اللّــه مــن روض قولــه ✪ أليــس بكــاف تلحقنــك فواضلــه
وعِزَّتَهُــنْ دنيــاك واغــن بتركهــا ✪ ولا تحفلَــنْ بــالرّزق فاللّــه كافلــه
تحــل بتــاج القنــع تعــد مملكــا ✪ تطول على هام الرّجال كواهلـه

وقال آخر :

وإني لأغضي مقلتي على القذى ✪ وألبس ثوب الصّبر أبيض أبلجـا
وإنــي لأدعــو اللّــه والأمــر ضيّــق ✪ علــيَّ فمــا ينفــكّ أن يتفرّجــا
وكم من فتى ضاقت عليه وجوهه ✪ أصاب لها في دعوة اللّه مخرجا

قال حكيم :

لقد أكلت الصَّبِر ، وشربت المرّ ، فلم أر شيئًا أمرّ من الفقر .

وشاهدت الزّحوف ، وعاينت الحتوف ، وصارعت الأقران ، فلم أر أغلب من المرأة السوء .

وعالجت الأثقال ، ونقلت الصّخر ، فلم أر حملاً أثقل من الدَّين .

قال السيّد أحمد الهاشمي [1] :

عليك بالصّبر والإخلاص في العمل ❁ ولازم الخير في حلّ ومرتحل

وجانب الشرّ واعلم أنّ صاحبه ❁ لا بُدّ يُجْزَاهُ في سهل وفي جبل

واثبت ثبات الرّواسي الشّامخات ولا ❁ تركن إلى فشل في ساعة الوهل

وكن كرضوى لما يعروك من نوب ❁ ولا تكن جازعًا في الحادث الجلل

واصبر على مضض الأيّام محتملا ❁ ففيه قرعُ لِبَابِ النُّجحِ والأمل

تأن متئداً فيما تروم ولا ❁ تعجل وإن خلق الإنسان من عجل

لا تطلب العزّ في دار ولدت بها ❁ فالعزّ عند رسوم الأينق الذلل

شمّر وجدّ لأمر أنت طالبه ❁ إذ لاتنال المعالي قطّ بالكسل

واحذر مساوئ أخلاق تشان بها ❁ وأسوأ السوء سوء الخُلْقِ والبخل

واخفض جناحك للمولى وجد ونل ❁ ما أقبح الكبر والإمساك بالرّجل

---

(١) جواهر الأدب : ٢/٤٤ .

لا تسأل النذل ، واقصد ماجداً حَدِبًا ۞ في طلعة الشّمس ما يغنيك عن زحل
ولا تجادل جهولاً ليس يفهم ما ۞ تقول فالشرّ كلّ الشرّ في الجدل

[1] كلّما أقبلتْ هموم الليالي ۞ لُذْتُ منها برحمة المتعالي
فإذا بالرّضا يجلّل نفسي ۞ وإذا الصّبر عدّتي في النّزال
يا رجاء العباد .. يا بارئ الخلق ۞ ويا كاشف الهموم الثّقال
أنت يا ربّي ملجأي في الرّزايا ۞ فاعف عنّي وأنت أدرى بحالي

[2] ولم أر مثل الصّبر طبًّا لعلّة ۞ فإنّ عليل الجسم بلسمه الصّبر
فلا تقرن الداء العياء بعلّة ۞ من القلق المشبوب ، مطعمه مرّ
وسلّم لباري الخلق في الخلق أمره ۞ ففي أدب التّسليم قد يدفع الضرّ
رضينا بما يقضي الإله وحسبنا ۞ بأن إليه الحكم ما شاء والأمر

قال إبراهيم النّبهانيّ [3] :

تعزّ فإنّ الصّبر بالحرّ أجمل ۞ وليس على ريب الزّمان معول
فلو كان يغني أن يرى المرء جازعا ۞ لحادثة ، أو كان يغني التذلّل

---

(١) رباعيّات محمّد عليّ مغربي ، ص٩٩ .
(٢) رباعيّات محمّد عليّ مغربي ، ص١٠١ .
(٣) جواهر الأدب : ٢/٢٧٠ .

لكــان التّعــزّي عنــد كــلّ مصيبــة ۞ ونائبــة بــالحرّ أولى وأجمــل

فكيــف وكــلّ ليــس يعــدو حِمَامَــه ۞ وما لامــرئ عمّا قضــى اللّه مَزْحَــل

فــإن تكــن الأيّــام فينــا تبدّلــت ۞ ببؤسَــى ونعمــى والحــوادث تفعــل

فمــا لَيَّنَــتْ منّــا قنــاةً صليبــةً ۞ ولا ذلّلتنــا الّــتي ليــس تَجْمُــل

وقينــا بحســن الصّــبر منّــا نفوســنا ۞ فصحّت لنــا الأعــراض والنّــاس هــزل

وقال أبو فراس الحمداني في الصّبر والتّأنّي :

[1] تصبّر ففي اللأواء قد يحمد الصّبر ۞ ولولا صروف الدّهر لم يعرف الحـرّ

وإنّ الّذي أبلى هــو العون فــانتدب ۞ جميل الرّضا يبقى لك الذّكر والأجر

وثــق بــالّذي أعطى ولا تَــكُ جازعــا ۞ فليــس بحــزم أن يُرَوِّعَــكَ السّــفر

فــلا نِعَــمٌ تبقــى ولا نِقَــمٌ ولا ۞ يـدوم كـلا الحــالين عســر ولا يســر

تقلّــب هــذا الأمــر ليــس بدائــم ۞ لديــه مــع الأيّــام حلــو ولا مــرّ

اصبر على مضض الإدلاج في السّحر ۞ وفي الــرّواح إلى الطّاعــات في البُكَــرِ

إنّــي رأيــت في الأيّــام تجربــة ۞ للصّــبر عاقبــةً محمــودةَ الأثــر

وقِــلّ مــن جــدّ في أمــر يؤمّلــه ۞ واســتصحبَ الصّــبرَ إلاّ فــاز بــالظّفر

وشــوق لأطــراف الأســنّة في الحشــا ۞ ملكت عليــه طاعــة دمعــي أن يجــري

إذا أنــا لم أقبــل مــن الدّهــر كــلّ مــا ۞ تكرهت منه طال عتبي على الدّهــر

---

(١) جواهر الأدب : ٤٧٧/٢ .

إلى اللّـه كـلّ الأمـر في الخلـق كلّهـم ۞ وليـس إلى المخلـوق شـيء مـن الأمـر
تعـوّدت مـسّ الضـرّ حتّـى ألفتـه ۞ وأسـلمني طـول البـلاء إلى الصّـبر
ووسـع صدري بالأذى الأنـس بـالأذى ۞ وإن كنـت أحيانًـا يضيـق بـه صـدري
وصـيّرني يأسـي مـن النّـاس راجيـا ۞ لسـرعة لطف اللّه من حيث لا أدري

(١) تصــبّر للشّـــدائد والكـــروب ۞ ولا تجــزع لنائبـــة الخطـــوب
وكـــن رجـــلاً قـــويّ العـزم جلـــدا ۞ وخـــذ بـــالحزم والـــرأي المصيـــب
وقـــم للّـــه في غلـــس اللّيـــالي ۞ منيبًـــا للقريـــب المســـتجيب
وثـــق باللّـــه في عســـر ويســـر ۞ تجـــد فرجًـــا لضائقـــة الكـــروب

۞۞۞

التوكّل على الله

(٢) توكّلـت في رزقـي علـى اللّـه خـالقي ۞ وأيقنـت أنّ اللّـه لا شـكّ رازقـي
ومـا يـك مـن رزقـي فليـس يفوتـني ۞ ولـو كـان في قـاع البحـار الغوامـق
سـياتي بـه اللّـه العظيـم بفضلـه ۞ ولـو لم يكـن منّـي اللّسـان بنـاطق
ففـي أيّ شـيء تذهب النّفـس حسـرة ۞ وقـد قسّـم الرّحمـن رزق الخلائـق

۞۞۞

---

(١) رباعيّات محمّد عليّ مغربي، ص٦٩ .

(٢) من ديوان الإمام الشّافعيّ، ص٦٦ .

الجود والكرم ، وما جاء في البخل

قال الإمام الشّافعيّ [١] :

أجود بموجود ولو بتّ طاويا ۞ على الجوع كشحًا والحشا يتألّم

وأظهر أسباب الغنى بين رفقتي ۞ ليخفاهمُ حالي وإنّي لمُعْدِمُ

وبيني وبين اللّه أشكو فاقتي ۞ حقيقًا فإنّ اللّه بالحال يعلم

قال حبيب بن أوس أبو تمّام الطّائي [٢] :

أنا ابن الّذي اسْتُرْضِعَ الجود فيهم ۞ وقد ساد فيهم وهو كهل ويافع

نجوم طواليع جبال فوارع ۞ غيوث هواميع سيول دوافع

مضوا وكأنّ المكرمات لديهم ۞ لكثرة ما أوصوا بهنّ شرائع

فأيّ يد في المَحْلِ مُدَّتْ فلم يكن ۞ لها راحة من جودهم وأصابع

هم استودعوا المعروف محفوظ مالنا ۞ فضاع وما ضاعت لدينا الودائع

بها لِيلُ لو عاينت فيض أكفّهم ۞ لأيقنت أنّ الرّزق في الأرض واسع

إذا خفقت بالبذل أدواح جودهم ۞ حداها النّدى واستنشفتها المدامع

رياح كريح العنبر الغضّ في النّدى ۞ ولكنّها يوم اللقاء زعازع

---

(١) من ديوان الإمام الشّافعيّ ، ص٧٦ .

(٢) جواهر الأدب : ٢٧١/٢ .

قال أبو فراس الحمدانيّ [(١)] :

وإنّي لنزّال بكلّ مخوفة ۞ كثير إلى نزَالِها النّظرُ الشّزر

وإنّي لجرّار لكلّ كتيبة ۞ معوّدة أن يحالفها النّصر

ولا راح يطغيني بأثوابه الغنى ۞ ولا بات يثنيني عن الكرم الفقْر

وما حاجتي في المال أبغي وفوره ۞ إذا لم أفر عرضي فلا وَفَر الوفر

أسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى ۞ ولا فرسي مهر ولا ربّه غمر

ولكن إذا حمّ القضاء على امرئ ۞ فليس له برّ يقيه ولا بحر

وقال أصيحابي الفرارَ أو الرّدى ۞ فقلت هما أمران أحلاهما مرّ

ولكنّني أمضي لما لا يعيبني ۞ وحسبك من أمرين خيرهما الأسر

ومنها : يمنّون أن خلّوا ثيابي وإنّما ۞ عليَّ ثياب من دمائهم حمر

وقائم سيف فيهم دقّ نصله ۞ وأعقاب رمح حطمه الصّدر

سيذكرني قومي إذا جدّ جدّهم ۞ وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ولو سدّ غيري ما سددت اكتفوا به ۞ وما كان يغني التّبر لو نفق الصِّفْرُ

ونحن أناس لا توسّط بيننا ۞ لنا الصّدر دون العالمين أو القبر

أعزّ بني الدُّنيا وأعلى ذوي العلا ۞ وأكرم مَنْ فوق التّراب ولا فخر

[(٢)] لحى اللّه دهراً خصّني بخصاصة ۞ واقعدني عمّا سعى فيه أمثالي

تنوب صديقي نائبات زمانه ۞ فيقعدني عن رفده قلّة المال

---

(١) جواهر الأدب : ٢/٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٢) نقلاً من كتاب الغيث المسجم ، ص٢٢٥ ، ٢٢٦ .

وا لهف نفسي على مال أفرّقه ۞ على المقلّين من أهل المروآت
إنَّ اعتذاري إلى من جاء يسألني ۞ ما ليس عندي من إحدى المصيبات

أرى نفسي تتوق إلى أمور ۞ يقصر دون مبلغهنَ مالي
فلا نفسي تطاوعني ببخل ۞ ولا مالي يبلغني فعالي

قال صالح بن صالح الشنتريني [١] :

أحبّ لذي قربى وصل ذا وسيلة ۞ وقم بالحقوق الواجبات اللوازم
أما إنّني لو نلت أيسر يسره ۞ لكانت لكفّي بسطة في المكارم
فآها لعصر مثل أهليه جاهل ۞ ودهر لأبناء المروءة ظالم

قال الصّفديّ [٢] :

وقائلة فيم اجتهادك للغنى ۞ وقد رقدت للحظّ منك عيون
فقلت لها واللّه ما بي حاجة ۞ لتحصيل دنيا فالأمور تهون
ولكنْ حقوق للعلى قد ترتّبت ۞ على ذمّتي مفروضة وديون
فلو وجدت كفي لبرأت ساحتي ۞ وكنت أريك الجود كيف يكون

---

(١) نقلاً من كتاب الغيث المسجم ، ص٢٢٦ .
(٢) نقلاً من كتاب الغيث المسجم : ٢٢٧/١ .

وقال حاتم الطّائيّ في الكرم[1] :

أماويّ إنّ المال غاد ورائح ۞ ويبقى من المال الأحاديث والذّكر
أماويّ إنّي لا أقول لسائل ۞ إذ جاء يومًا حلّ في مالنا النّذر
أماويّ إمّا مانع فمبين ۞ وإمّا عطاء لا ينهنهه الزُّجر
أماويّ إن يصبح صداي بقفرة ۞ من الأرض لا ماء لديّ ولا خمر
ترى أن ما أنفقت لم يك ضرّني ۞ وأن يديّ ممّا بخلت به صفر

وقال عليّ بن عبد العزيز الجرجانيّ[2] :

وقالوا توصّل بالخضوع إلى الغنى ۞ وما علموا أنّ الخضوع هو الفقر
وبيني وبين المال شيئان حرّما ۞ عليَّ الغنى : نفسي الأبيّة والدّهر
إذا قيل : هذا اليسر أبصرت دونه ۞ مواقف خير من وقوفي بها العسر

[3] إذا لم تجودوا والأمور لكم تجري ۞ وقد ملكتْ أيديكم البسط والقبضا
فما يرجى منكم إن عُزلتمو ۞ وعضتكم الأيّام من جورها عضا
فكنتم سماء للأنام عَلِيَّةً ۞ فصرتم لأدنى من يجالسكم أرضا
ستسترجع الأيّام ما قد أقرضتكموا ۞ وما زالت الأيّام تسترجع القرضا

---

(١) نقلاً من كتاب جواهر الأدب ، ص٤٦٧ .
(٢) نقلاً من كتاب جواهر الأدب ، ص٤٦١ .
(٣) من كتاب رفع الآصار ، ص٤٥٨ .

قال يزيد بن حاتم :

قالت طريفة ما تَبْقَى دراهمنا ۞ وما بنا سرف فيها ولا خرق
إذا اجتمعت يومًا دراهمنا ۞ ظلّت إلى طرق المعروف تستبق
لا يألف الدّرهم المضروب صرّتنا ۞ لكن يمرّ عليها وهو منطلق

قال الشّاعر :

إذا الضّيف وافى منزلاً منك طالبا ۞ قراك وأرمته إليك المسالك
فكن باسمًا في وجهه متهلّلا ۞ وقل مرحبًا أهلاً ويوم مبارك
وقدّم له ما تستطيع من القرى ۞ عجولاً ولا تبخل بما هو هالك
فقد قيل بيتًا سالفًا متقدّما ۞ تداوله زيد وعمرو ومالك
بشاشة وجه المرء خير من القِرى ۞ فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك

۞۞۞

بخل فاحش

قوم إذا استنبح الأضيافُ كلبهم ۞ قالوا لأمّهم بولي على النّار
فتمسك البول ضنًّا أن تجود به ۞ ولا تبول لهم إلاّ بمقدار
والخبز كالعنبر الورديّ عندهم ۞ والقمح سبعون إردبًّا بدينار

۞۞۞

ما قيل في المدح

قال محمود بن الحسن الورّاق :

فلو كان يَستغني عن الشّكر ماجد ۞ لعزّة نفس أو علوّ مكان
لما أمر اللّه العباد بشكره ۞ فقال اشكروني أيّها الثّقلان

لو كنت أعرف فوق الشّكر منزلة ۞ أعلى من الشّكر عند اللّه في الثّمن
إذاً منحتكها منّي هديّة ۞ حذواً على حذو ما أوليت من حسن

وقال البارودي :[1]

وكان أمير البيان شكيب أرسلان يذكر في الجرائد محمود سامي البارودي ، فأرسل البارودي هذه القصيدة :

أشدت بذكري بادئاً ومعقّباً ۞ وأمسكت ، ولم أهمس ولم أتكلّم
وما ذاك ضنّاً بالوداد على امرئ ۞ حباني به ، لكن تهيّبت مقدمي
فأمّا وقد حقّ الجزاء ، فلم أكن ۞ لأنطق إلاّ بالثّناء المُنَمْنَمِ
وكيف أذود الفضل عن مستقرّه ۞ وأنكر ضوء الشّمس بعد توسّم
وأنت الّذي نوّهت باسمي ، ورِشْتَنِي ۞ بقول سرى عنّي قناع التوهّم

(١) من ديوان البارودي : ٣/٣٩٠ .

لك السّبق دوني في الفضيلة فاشتمل ❁ بحلّتها فالفضل للمتقدّم
ودونكها ـ يا بن الكرام ـ حبيرة ❁ من النّظْمِ سداها بمدح العلا فمي

في مدح حالة البادية

قال الأمير عبد القادر الجزائريّ :

يا عاذراً لامرئ قد هام في الحضر ❁ وعاذلاً لمحبّ البيد والقِفَرِ
أتذممن بيوتًا خفّ محملها ❁ وتمدحن بيوت الطّين والحجر
لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني ❁ لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر
أو كنت أصبحت في الصّحراء تمسي على ❁ بساط رمل به الحصباء كالدّرر
أو جلت في روضة قد راق منظرها ❁ بكلّ لون جميل طيّب عطر
تستنشقَنْ نسماتٍ طاب منتشقا ❁ يزيد في الرّوح لم يمرر على قذر
أو كنت في صبح ليل هاج هاتنه ❁ علوت في مرقب أو جلت بالنّظر
رأيت بكلّ وجه من بسائطها ❁ سربًا من الوحش يرعى أطيب الشّجر
فيالها وقفة لم تبق من حَزَنٍ ❁ في قلبِ مُضْنًى ولا كدا لذي ضجر
نباكر الصّيد عند الفجر نبغته ❁ فالصّيد منّا مدى الأوقات في ذُعُرِ
فكم ظلمنا ظليمًا في نعامته ❁ وإن يكن طائراً في الجوّ كالصّقر
قال الأولى قد مضوا قولاً وصدّقه ❁ فعل وعقل وما للحقّ من غير
الحسن يظهر في شيئين رونقه ❁ بيت من الشّعْرِ أو بيت من الشَّعَرِ

❁❁❁

ما جاء في الغربة والغريب

غربة الدِّين

قال محمَّد بن إسماعيل الأمير [1] :

وهذا اغتراب الدِّين فاصبر فإنّني ۞ غريب وأصحابي كثير بلا عدد

إذا ما رأوني عظّموني وإن أغب ۞ فكم أكلوا لحمي وكم مزّقوا جلدي

هنيئًا مريئًا في اغتيابي فوائد ۞ فكلّ فتى يغتابني فهو لي مُهدي

بلى ولي أجر الصّلاة وصومه ۞ ولي كلّ شيء من محاسنه يبدي

وكم حاسد قد أنضج الغيظُ قلبه ۞ ولكنّه غيظ الأسير على القد

ودونكها تحوي علومًا جليلة ۞ منزّهة عن وصف قدٍّ وعن خدٍّ

فلا مدحت وصلاً لليلى وزينب ۞ ولا هي ذمّت هجر سعدى ولا هند

إليك طوت عرض الفيافي وطولها ۞ فكم جاوزت غورًا ونجدًا إلى نجد

أناخت بنجد واستراح ركابها ۞ وعاد خليًّا عن رحيل وعن شد

فأحسن قراها بالقراءة ناظمًا ۞ جوابًا فقد أضحت لديك من الوفد

وصلّ على المختار والآل إنّها ۞ لحسن ختام النّظم واسطة العقد

---

(١) في رسالة أرسلها إلى الشّيخ محمَّد بن عبد الوهاب ـ رحمهما الله تعالى ـ نقلاً من ديوان الأمير الصّنعاني ، ص١٣٢ .

الغريب لا يعادي أهل البلد

لا تعــاد النّـــاس في أوطـــانهم ۞ قلّمــا يُرْعَــى غريــبُ الوطـــن
وإذا مـــا رمـــت عيشًـــا بينهـــم ۞ خـــالق النّـــاس بخلـــق حســـن

[1] إنَّ الغريـــب لــــه مخافـــة ســـارق ۞ وخضـــوع مديـــون وذِلَّـــةُ مُوثَـــقِ
فـــإذا تذكّـــر أهلـــه وبـــلاده ۞ ففـــؤاده كجنـــاح طـــير خـــافق

[2] ارحـل بنفسـك عـن أرض تضام بهـا ۞ ولا تكـن مـن فـراق الأهـل في حُـرق
فالعنـــبر الخـــام روث في مواطنـــه ۞ وفي التغـرّب محمـــولٌ علـــى العنـــق
والكحـل نـوعٌ مـن الأحجـار تنظُـره ۞ في أرضـه وهـو مَرْمِـيٌّ علـى الطّـرق
لَمّـا تغـرَّبَ حـازَ الفضـلَ أجمعـه ۞ فصـار يُحْمـلُ بـين الجَفْـنِ والحَـدَقِ

۞۞۞

(١) من ديوان الإمام الشّافعيّ ، ص٦٦ .
(٢) من ديوان الإمام الشّافعيّ ، ص٦٣ .

ما جاء في الاعتذار والمعاتبة

يقول النّابغة الذّبياني يعتذر إلى النّعمان بن المنذر ويمدحه.:

أتـاني أبيتَ اللّعن أنّك لمتني ❁ وتلك الّتي أهتمّ منها وأنصب

فبتُّ كأنّ العائدات فرشنني ❁ هراسًا به يعلى فراشي وينشب

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ❁ فليس وراء اللّه للمرء مذهب

لئن كنت قد بُلّغت عنّي خيانة ❁ لمبلغك الواشي أغَشُّ وأكذب

ولكنّني كنت امرءاً إلى جانب ❁ من الأرض فيه مستراد ومذهب

ملوك وإخوان إذا ما أتيتُهم ❁ أُحكَّم في أموالهم وأقرَّب

كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم ❁ فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا

فلا تتركنّي بالوعيد كأنّني ❁ إلى النّاس مطليّ به القار أجرب

ألم تر أنّ اللّه أعطاك سَوْرَةً ❁ ترى كلّ ملك دونها يتذبذب

فإنّك شمس والنّجوم كواكب ❁ إذا طلعت لم يبد منهنّ كوكب

ولست بمستبق أخًا لا تلمه ❁ على شعث أيّ الرّجال المهذّب

فإن أك مظلومًا فعبدُ ظَلَمْتَه ❁ وإن تك ذا عتبى فمثلك يَعْتِب

❁❁❁

قال الأمير أسامة بن منقذ يعاتب حاكم دمشق معين الدِّين :

هل في الحقيقة يا من فضل حكمته ۞ وعدل سيرته بين الورى علم
تَضْيِيعُ واجبَ حقّي بعدما شهدت ۞ به النّصيحة والإخلاص والقِدم
وما ظننتك تنسى حقّ معرفتي ۞ إنَّ المعارف في أولى النّهى ذمم
ولا اعتقدت الّذي بيني وبينك من ۞ ودّ وإن أجلب الحسّاد ينصرم
لكن وشاتك ما زالوا بغشّهم ۞ حتّى استوت عندك الأنوار والظُّلم
واللّه ما نصحوا لَمَّا استشرتهمُ ۞ لكنّهم ذو هوى في الرأي متّهم
كم حرّفوا من مقال في سِعايتهم ۞ وكم سعوا بفساد ضلّ سعيهم
فاسلم ما عشت لي فالدّهر طوع يدي ۞ وكلّ ما نالني من بؤسه نعم

۞۞۞

قبول الاعتذار

إذا اعتذر الصّديق إليك يوما ۞ من التّقصير عذر أخ مقرّ
فصنه عن عتابك واعف عنه ۞ فإنّ الصّفح شيمة كلّ حرّ

۞۞۞

ما قيل في الشّيخوخة ، والكِبَر ، والشّيب ، وانتهاء الأجل

فإن يك جفّ عودي بعد نضرته ❁ فالدّهر مصدر إدبار وإقبال
علام أجزع والأيّام تشهد لي ❁ بصدق ما كان من وسمي وإغفالي
راجعت فهرس آثاري فما لمحت ❁ بصيرتي فيه ما يزري بأعمالي

عريت من الشّباب وكنت غضّا ❁ كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشّباب بدمع عيني ❁ فما نفع البكاء ولا النّحيب
ألا ليت الشّباب يعود يوما ❁ فأخبره بما فعل المشيب

قال النّمر بن تولب :

لعمري لقد أنكرت نفسيورابني ❁ خلائق منها لم تكن من شمائلي
مطاوعتي من كنت لست أطيعه ❁ وإنّي أرى شيئًا عن اللّهو شاغلي
وبدّل رأسي الشّيب بعد سواده ❁ فأصبحت ذا شغل واقصر باطلي
وأصبحت قد أعرضن عنّي وسؤنني ❁ وأخلفني عهد الخليل المماطل
ألا إنَّ شيب الرأس ليس بآفة ❁ تضرّك إلاّ في النِّساء الجواهل

قال رجل عن الشّيب :

ولما رأيت الشّيب حلّ بياضُه ⊛ بمفرق رأس قلت للشَّيْبِ مرحبا
ولو خلت أنّي إن كففت تحيّتي ⊛ تنكب عنّي رمت أن يتنكّبا
ولكن إذا ما حلّ كرهًا فسامحت ⊛ به النّفس كان للكره أذهبا

وقال أحدهم :

أهلاً وسهلاً بالشّيب فإنّه ⊛ سمة العفيف وهيبة المتحرّج
فكأنّ شيبي نظم درّ زاهر ⊛ في تاج ذي ملك أغرّ متوّج

وقال آخر :

يا أيّها الرّجل المُسَوِّدُ شَعْرَه ⊛ كيما يعدّ به من الشبّان
أقصر فلو سوّدت كلّ حمامة ⊛ بيضاء ما عدت من الغِربان

[1] لا تقولوا .. كبر الشّيخ فلا رأي له ⊛ إنّه سِفْر تجاريب السّنين
شَاهَدَ الدُّنيا على أوجهها ⊛ تارة تقسو .. وأحيانًا تلين
أخذ العبرة من أحوالها ⊛ فأفاد العلم والرأي الرّزين
زاده الشّيب وقاراً وسنى ⊛ إنّما الشّيب بهاء النّاظرين

---

(١) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص٤٩ .

قال أبو عبد الله نفطويه [1] :

أَراني أنسى ما تعلّمت في الكبر ⊛ ولست بناس ما تعلّمت في الصّغر
وما العلم إلاّ بالتّعلّم في الصّبا ⊛ لأُلْفِي فيه العلمَ كالنّقش في الحجر
وما العلم بعد الشّيب إلاّ تعسّف ⊛ إذْ كَلَّ قلبُ المرءِ والسّمعِ والبصُرِ
وما المرء إلاّ اثنان : عقل ومنطق ⊛ فمن فاته هذا وهذا فقد دمر

قال الشّيخ عبد الله بن محمّد بن أبي الدُّنيا :

أراني في انتقاص كلّ يوم ⊛ ولا يبقى من النّقصان شيٌ
طوى العصران ما نشراه منّي ⊛ فأخلق جدّتي نشر وطيّ

وقال أيضًا :

إذا ما مضى القرن الَّذي أنت فيهمُ ⊛ وخُلِّفْتَ في قوم فأنت غريب
وإنَّ امرءاً قد سار سبعين حجّة ⊛ إلى منهل من ورده لقريب

وقال غيره :

نسير إلى الآجال في كلّ ساعة ⊛ وأيّامنا تطوى وهنّ مراحل

(١) جواهر الأدب : ٤٥٧/٢ .

ولم نــر مثــل المــوت حقًّــا كأنّــه ۞ إذا مــا تخطّتــه الأمــانيّ بــاطل
تَرَحَّلْ عـن الدُّنيا بـزاد مـن التّقـى ۞ فعمــرك أيّــام تعــدّ قلائــل

وقال غيره :

نهــارك يــا مغــرور ســهو وغفلــة ۞ وليلــك نــوم والأســى لــك لازم
تســرّ بمــا يفنــى وتفــرح بــالمنى ۞ كمــا ســرّ بــاللّذات في النّــوم حــالم
وسـعيك فيمـا يكـره اللّـه فعلـه ۞ كذلـك في الدُّنيـا تعيـش البهـائم [١]

مــن عــاش أخلقــت الأيّــام جدّتــه ۞ وخانــه الثّقتــان السّــمع والبصــر
قــالت عهدتــك مجنونًــا فقلــت لهــا ۞ إنَّ الشّــباب جنــون بــرده الكــبر

إذا لم يكــن للمــرء عقــل يقــوده ۞ فيوشــك أن يلقــى حســامًا يقــده
لعمـري لقـد ولى الشّـباب وحـلّ بـي ۞ مـن الشّـيب خطـب لا يطـاق مـرده
فــأي نعيــم في الزّمــان أرومــه ؟ ۞ وأيّ خليــل للوفــاء أعــدّه ؟
وكيـف ألـوم النّـاس في الغـدر بعدمـا ۞ رأيـت شـبابي قـد تغـيّر عهـده
وأبعـد مفقـود شـباب رمـت بـه ۞ صـروف الليـالي عنـد مـن لا يـرده ؟
فمــن لي بخــلّ صــادق أســتعينه ۞ علــى أملــي أو نــاصر أســتمدّه

---

(١) فيه زحاف .

قال عديّ بن زيد :

من يطلب الدّهر تدركه مخالبه ۞ والدّهر بالوتر ناج غير مطلوب
ما من أناس ذوي مجد ومكرمة ۞ إلا يشدّ عليهم شدّة الذّيب
حتّى يبيد على عمد سراتهم ۞ بالنّافذات من النّبل المصاييب
إني وجدت سهام الموت معرضة ۞ بكل حتف من الآجال مكتوب

وقال أميّة بن أبي الصّلت :

كلّ عيش وإن تطاول دهراً ۞ منتهى أمره إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ۞ في رءوس الجبال أرعى الوعولا
واجعل الموت نصب عينيك واحذر ۞ غولة الدّهر إنَّ للدّهر غولا

وقال لبيد بن ربيعة :

ألا كلّ شيء ما خلا اللّه باطل ۞ وكلّ نعيم لا محالة زائل [1]
إذا المرء أسرى ليلة ظنّ أنّهُ ۞ قضى عملاً والمرء ما عاش آمل
حبائله مبثوثة بسبيله ۞ ويفنى إذا ما أخطأته الحبائل
فإن أنت لم تصدقك نفسك فانتسب ۞ لعلّك تهديك القرون الأوائل
وكلّ امرئ يومًا سيعلم سعيه ۞ إذا كُشفت عند الحساب المحاصل

---

(١) أي كلّ نعيم في الدُّنيا ، وليس المراد جميع أنواع النّعيم ، لأنَّ نعيم الجنّة لا يزول .

وقال أيضًا :

وما المرء إلاّ كالشّهاب وضوئه ⊛ يحور رماداً بعد إذ هو ساطع
وما النّاس إلاّ عاملان ، فعامل ⊛ يُتَبِّر ما يبني وآخر رافع
فمنهم سعيدٌ آخذ بنصيبه ⊛ ومنهم شقيٌّ بالمعيشة قانع
أليس ورائي إن تراخت منيّتي ⊛ لزوم العصى تحنى عليها الأصابع
أخبِّر أخبار القرون الّتي مضت ⊛ أدِبُّ كأنّي كلّما قمت واقع

أيا فرقة الأحباب لا بُدّ لي منكِ ⊛ ويا دار دنيا إنّني راحل عنك
ويا قصر الأيّام مالي وللمنى ⊛ ويا سكرات الموت مالي وللضَّحْكِ
ومالي لا أبكي لنفسي بعبرة ⊛ إذا كنت لا أبكي لنفسي فمن يبكي
ألا أيّ حيّ ليس بالموت موقنا ⊛ وأيّ يقين منه أشبه بالشكّ

علامة الكِبَرِ

قال الهيثم بن الأسود :

إنّي سأنبيك بآيات الكبر ⊛ تقارب المشي وضعف في البصر
وقلّة النّوم إذا النّوم اعتكر ⊛ وقلّة الطّعم إذا الزّاد حضر
وتركي الحسناء في قبل الطّهر ⊛ وكثرة النّسيان فيما يذكر
والنّاس يبلون كما يبلى الشّجر ⊛ فهذه أعلام آيات الكبر

⊛⊛⊛

المراثي

قال أبو الحسن التّهاميّ في رثاء ابنه [1] :

حكم المنيّة في البرية جاري ❊ ما هذه الدُّنيا بدار قرار
بينا يرى الإنسان فيها مخبراً ❊ حتّى يرى خبراً من الأخبار
طبعت على كدرٍ وأنت تريدها ❊ صفواً من الأقذاء والأكدار
ومكلّف الأيّام ضدّ طباعها ❊ متطلّب في الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإنّما ❊ تبني الرّجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنيّة يقظة ❊ والمرء بينهما خيال ساري
والنّفس إن رضيت بذلك أو أبت ❊ منقادة بأزمّة المقدار
فاقضوا مآربكم عجالاً إنّما ❊ أعماركم سفر من الأسفار
وتراكضوا خيل الشّباب (وبادروا) ❊ أن تستردّ فإنّهنّ عواري
فالدّهر يخدع بالمنى ويغصّ إن ❊ هنّى ويهدم ما بنى ببوار
ليس الزّمان وإن حرصت مسالمًا ❊ خلق الزّمان عداوة الأحرار
إني وترت بصارم ذي رونق ❊ أعددته لطلابه الأوتار
أثني عليه بإثره ولو أنّهُ ❊ لم يغتبط أثنيت بالآثار
يا كوكبًا ما كان أقصر عمره ❊ وكذاك عمر كواكب الأسحار

(١) ص٣٠٨ - ٣١٠ .

وهـلال أيّـام مضـى لم يستدر ۞ بـدراً ولم يمهـل لوقـت سـرار
عجل الخسوف عليه قبل أوانه ۞ فمحـاه قبـل مظنّـة الإبـدار
واستلّ مـن أترابـه ولداتـه ۞ كالمقلـة استلّت مـن الأشفار
فكـأنّ قلـبي قـبره وكأنّـه ۞ في طيّـه سـرّ مـن الأسـرار
إن يغتبـط صغـراً فـربّ مفخّـم ۞ يبـدو ضئيـل الشّخص للنظّـار
إنَّ الكواكـب في علـوّ محلّهـا ۞ لـترى صغـاراً وهـي غـير صغـار
ولـد المعـزى بعضـه فـإذا مضـى ۞ بعـض الفتـى فـالكلّ في الآثـار
أبكيـه ثُـمَّ أقـول معتـذراً لـه ۞ وفّقـت حـين تركـت ألأم دار
جـاورت أعدائـي وجـاور ربّـه ۞ شـتّان بـين جـواره وجـواري
أشـكو بعـادك لي وأنـت بموضـع ۞ لولا الرّدى لسمعت فيه (سـراري)
والشّرق نحو الغرب (أقـرب) شقّة ۞ مـن بعـد تلـك الخمسـة الأشـبار
هيهات قـد علقتـك أشـراك الـرّدى ۞ واغتـال عمـرط قـاطع الأعمـار

قال حافظ إبراهيم يرثي الشّيخ محمَّد عبده :

سـلام علـى الإسلام بعـد محمَّـد ۞ سـلام علـى أيّامـه النّضـرات
علىٰ الدِّين والدّنيا على العلم والحجى ۞ علـى البرّ والتّقـوى علـى الحسـنات
لقد كنت أخشـى عـادي الموت قبله ۞ فـأصبحت أخشـى أن تطـول حيـاتي
فوالهفـي والقـبر بيـني وبينـه ۞ علـى نظـرة مـن تلكـم النّظـرات
وقفت عليـه حاسـر الـرأس خاشـعًا ۞ كـأنّي حيـال القـبر في عرفـات
أبنـت لنـا التّـنزيل حكمًـا وحكمـة ۞ وفرّقـت بـين النّـور والظّلمـات

ووقفت بين الدِّين والعلم والدّجى ۞ فأطلعت نوراً من ثلاث جهات
وخفت مقام اللّه في كلّ موقف ۞ فخافك أهل الشكّ والنّزعات
وأرصدت للباغي على دين أحمد ۞ شباة يراع ساحر النّفثات
مشى نعشه يختال عجبًا بربّه ۞ ويخطر بين اللّمس والقبلات
بكى الشّرق فارتجت له الأرض رجّة ۞ وضاقت عيون الكون بالعبرات
بكى عالم الإسلام عالم عصره ۞ سراج الدياجي هادم الشّبهات
فيا ويح (للشورى) إذا جدّ جدّها ۞ وطاشت بها الآراء مشتجرات
ويا ويح (للفتيا) إذا قيل من لها ۞ ويا ويح للخيرات والصّدقات
بكينا على فرد ، وإنّ بكاءنا ۞ على أنفس للّه منقطعات
تعهّدها فضل الإمام وحاطها ۞ بإحسانه والدّهر غير مؤاتي

قال الشّيخ رضوان الجنوي [1]

إذا شئت أن تبكي فقيداً من الورى ۞ وتندبه بعد النّبيّ المكرّم
فلا تبكيّن إلاّ على فقد عالم ۞ يبادر بالتّفهيم للمتعلّم
وفقد إمام عادل قام ملكه ۞ بأنوار حكم العدل لا بالتحكّم
وفقد شجاع صادق في جهاده ۞ وقد كسرت راياته في التقدّم
وفقد سخيّ لا يملّ من العطا ۞ ليطفئ بؤس الفقر عن كلّ معدم
وفقد تقيّ زاهد متورّع ۞ مطيع لربّ العالمين معظّم
فهم خمسة يبكى عليهم وغيرهم ۞ إلى حيث ألقت رحلها أمّ قشعم

---

(١) نقلاً من كتاب « النّبوغ المغربي » للشّيخ عبد اللّه كنون ، ص٢٨١ ، ٢٨١ .

قال الشّيخ القصّار [1]

زر والديك وقف على قبريهما ۞ فكأنّني بك قد نقلت إليهما
لو كنت حيث هما وكان بالبقا ۞ زاراك حبواً ، لا على قدميهما
أنسيت عهدهما عشيّة أسكنا ۞ دار البلى وسكنت في داريهما
ما كان ذنبهما إليك وإنّما ۞ منحاك محض الودّ من نفسيهما
كانا إذا ما أبصرا بك علّة ۞ جزعا لما تشكو وشقّ عليهما
كانا إذا سمعا أنينك أسبلا ۞ دمعيهما أسفًا على خدّيهما
وتمنيّا لو صادفا لك راحة ۞ بجميع ما يحويه ملك يديهما
فلتلحقنهما غداً أو بعده ۞ حتمًا كما لحقا هما أبويهما
ولتقدمنّ على فعالك مثل ما ۞ قدما هما أيضًا على فعليهما
بشراك إن قدّمت فعلاً صالحًا ۞ وقضيت بعض الحقّ من حقّيهما
وقرأت من آي الكتاب بقدر ما ۞ تستطيعه وبعثت ذلك إليهما
فاحفظ بنيّ وصيّتي واعمل بها ۞ فعسى تنال الفوز من بريهما

۞۞۞

(١) نقلاً من كتاب « النّبوغ المغربي » للشّيخ عبد الله كنون ، ص٢٨١ .

ما جاء في الحزن والفراق

ممّا قيل في الحزن على البنات

قال أحدهم يخاف على بناته بعد موته :

لولا البُنَيَّةُ لم أَجزع من العدم ۞ ولم أجب في الليالي حِنْدِسَ الظُّلَمِ
وزادني رغبة في العيش معرفتي ۞ ذلَّ اليتيمة يجفوها ذَوُوْ الرّحم
أخشى فظاظة عمّ أو جفاء أخ ۞ وكنت أخشى عليها من أذى الكلم
إذا تذكّرت بنتي حال تندبني ۞ جرت لعبرة بنتي عبرتي بدم
تهوى بقائي وأهوى موتها شفقا ۞ والموت أكرم نزال على الحُرَمِ

وقال محمود سامي البارودي [1] :

محا البين ما أبقت عيون المها منّي ۞ فشبت ولم أقض اللبانة من سنّي
عناء وبأس واشتياق وغربة ۞ ألا شدّ ما ألقاه في الدّهر من غبن
فإن أك فارقت الدّيار فلي بها ۞ فؤاد أضلّته عيون المها عنّي
بعثت به يوم النّوى إثر لحظة ۞ فأوقعه المقدار في شرك الحسن
فهل من فتى في الدّهر يجمع بيننا ۞ فليس كلانا عن أخيه بمستغن

---

(١) جواهر الأدب : ٢/٢٨٩ .

ولّما وقفنا للوداع وأسبلت ❁ مدامعنا فوق الترائب كالمزن

أهبت بصبري أن يعود فخانني ❁ وناديت حلمي أن يثوب فلم يغن

وما هي إلاّ خطوة ثُمَّ أقلعت ❁ بنا عن شطوط الحيّ أجنحة السّفن

فكم مهجة من زفرة الوجد في لظى ❁ وكم مقلة من غزرة الدّمع في دجن

وما كنت جرّبت النّوى قبل هذه ❁ فلمّا دهتني كدت أقضي من الحزن

ولكنّني راجعت حلمي وردّني ❁ إلى الحزم رأي لا يحوم على أفن

ولولا بنيات وشيب عواطل ❁ لما قرعت نفسي على فائت سنّي

قال الشّيخ أحمد بن شرف الاحسائي في شكوى الزّمان :

قلّ الحماة وما في الحيّ أنصار ❁ ودبَّر الأمرَ أحداث وأغمار

وأصبحت دارنا تبكي لفرقتها ❁ كلّ الكرام الّذين بالجدّ قد ساروا

ساروا جميعًا فصاروا للورى سمرا ❁ يتلو لذكراهم في الحيّ سُمّار

لهفي عليهم لو أنّ اللهف ينفعني ❁ جددت لهفي ودمع العين مدرار

٦٠

❁❁❁

في الحِكَمِ والمِلَحِ

ممّا قيل في اللّسان

قال محمّد عليّ مغربي [1] :

لسانك فاحفظه عن اللّغو والأذى ❁ وسمعك صنه عن سفيه وعياب
وفكّر ولا تعجل إذا كنت قائلاً ❁ فكم عثرة كانت بسوء خطاب
فإنّ لسان المرء يسبق عقله ❁ ولكنّه سبق بغير صواب
ألم تر أنّ اللّه أقصى مكانه ❁ فكان كما قد شاء خلف حجاب

وقال أيضًا [2] :

رمضان وافى فاستبقه بطهره ❁ صوم اللّسان عن اغتياب النّاس
ليس الصّيام عن الطّعام بمجزئ ❁ إن لم تحطه طهارة الأنفاس
أشغل لسانك بالكتاب تلاوة ❁ تزكو بها بالرّوح ، بالإحساس
ودع الحديث عن العباد فإنّه ❁ من صنعة الوسواس والخنّاس

---

(١) من رباعيّاته ، ص٤١ .

(٢) من رباعيّاته ، ص٦١ .

احفـظ لسـانك أيّهـا الإنسـان ۞ لا يلدغنّـك ، إنّـه ثعبـان
كـم في المقـابر مـن قتيـل لسـانه ۞ كـانت تهـاب لقـاءَه الشّـجعانُ

(١) الصّمت زيـن والسّـكوت سـلامة ۞ فـإذا نطقـت فـلا تكـن مكثـارا
فـإذا ندمـت علـى سـكوتك مـرّة ۞ فلتندمـن علـى الكـلام مـرارا
عـوّد لسـانك قـول الخـير تنـج بـه ۞ مـن زلّـة اللّفـظ أو مـن زلّـة القـدم
واحـذر لسـانك مـن خـلّ تنادمـه ۞ إنّ النّديـم لمشـتقّ مـن النّـدم

عـوّد لسـانك حسـن القـول تنـج بـه ۞ مـن زلّـة اللّفـظ بـل مـن زلّـة القـدم
واحـذر زمـانك مـن خِـلٍّ تنادمـه ۞ إنّ النّديـم لمشـتقّ مـن النّـدم

قال صالح بن عبد القدّوس (٢) :

اخـتر صديقـك واصطفيـه تفـاخرا ۞ إنّ القريـن إلى المقـارن ينسـب
ودع الكـذوب ولا يكـن لـك صاحبـا ۞ إنّ الكـذوب لبئـس خـلاّ يصحـب
وذرِ الحسـود وإن تقـادم عهـده ۞ فـالحقد بـاق في الصّـدور مغيـب
واحفـظ لسـانك واحـترز مـن لفظـه ۞ فـالمرء يسـلم باللسـان ويعطـب
وزن الكـلام إذا نطقـت ولا تكـن ۞ ثرثـاراً في كـلّ نـاد تخطـب

(١) نقلاً من كتاب جواهر الأدب : ٢/٤٨٤ .
(٢) جواهر الأدب : ٢/٤٢٩ .

والســـرَّ فاكتمـــه ولا تنطـــق بـــه ⊛ فهـــو الأســـير لديـــك إذ لا ينشـــب

واحرص على حفظ القلوب من الأذى ⊛ فرجوعهـا بعـد التّنـافر يصعـب

إنَّ القلـــوب إذا تنـــافر ودّهـــا ⊛ شـبه الزّجاجـة كسـرها لا يشـعب

واحـــذر عـــدوّك إذ تـــراه باسمًـــا ⊛ فـــالليث يبـــدو نابـــه إذ يغضـــب

لا خـــير في ودّ امـــرئ متملّـــق ⊛ حلـــو اللّســـان وقلبـــه يتلهّـــب

يعطيـك مـن طـرف اللّسـان حـلاوة ⊛ ويـروغ منـك كمـا يـروغ الثّعلـب

يلقـــاك يحلـــف أنَّـــهُ بـــك واثـــق ⊛ وإذا تـــوارَى عنـــك فهـــو العقـــرب

وقـال أيضًا :

قـــل للـــذي لســـت مـــن تلونـــه ⊛ أَنَـا صِـحٌ أم علـى غـش ينـاجيني

إنـي لأكـثر ممّـا مسّـني عجبـا ⊛ يـد تشـج وأخـرى منـك تأسـوني

تغتـابني عنـد أقـوام وتمتدحـني ⊛ في آخريـن وكـل عنـك يـأتيني

هـذان شـيئان قـد نـافيتَ بينهمـا ⊛ فاكفف لسـانك عـن شـتمي وتزيـيني

⊛⊛⊛

ممّا قيل في المدارة

مـا دمـت حيًّـا فـدار النّـاس كلّهـم ۞ فإنّمـا أنـت في دار المـداراة

من يدر دارَى ومن لم يدر سـوف يُرى ۞ عمّـا قليـل نديمًـا للندامـات

وقال أحمد شوقي [1] :

يقـول لـك العقـل الّـذي زيـن الفتـى ۞ إذا لم تكـن تقـدر عـدوّك داره

ولاقـه بـالتّرحيب والبشـر والقـرى ۞ وبـارك لـه مـا دمـت تحـت اقتـداره

وقبّـل يـد الجـاني الّـتي لسـت قـادرًا ۞ علـى قطعهـا وارقـب سـقوط جـداره

قال البارودي :

أنـا الرّجـل المشـفوع بـالفعل قولـه ۞ إذا مـا عقيـد القـوم رثـت عقـوده

تعوّدت صدق القـول حتّـى لـو أنّـني ۞ تكلّفـت قـولاً غـيره لا أجيـده

أضـاحك وجـه المـرء يغشـاه بشـره ۞ وأعلـم أنّ القلـب تغلـي حقـوده

ومـن لم يـدار النّـاس عـاداه صحبـه ۞ وأنكـره مـن قومـه مـن يسـوده

فمـن لي بخـل أسـتعين بقربـه ۞ علـى أمـل لم يبـق إلاّ شـريده

أحـاول ودًّا لا يشـان بغـدرة ۞ ودون الّـذي أرجـوه مـا لا أريـده

---

(١) نقلاً من كتاب جواهر الأدب : ٢/٤٥٣ .

سمعــت قديمًــا بالوفــاء فليتــني ⊛ علمـت علـى الأيّـام أيـن وجـوده
فــإن أنــا لم أملــك صديقًــا فــإنّني ⊛ لنفســي صديــق لا تخيــس عهــوده
وحسب الفتى مـن رأيه خير صاحب ⊛ يــؤازره في كــلّ خطــب يئــوده
إذا لم يكــن للمــرء مــن بدهاتــه ⊛ نصير ، فـأخلق أن تخيب جـدوده
وإنــي وإن أصبحــت فــرداً فــإنّني ⊛ بنفسي عشير ليـس ينجـو طريـده

ولقــد بلــوت النّــاس في أطوارهــم ⊛ ومللــت حتّــى ملّــني الإبــلاء
فــإذا المــودّة خلّــة مكذوبــة ⊛ بــين البريــة والوفــاء ريــاء
كيـف الوثـوق بذمّـة مـن صـاحب ⊛ وبكــلّ قلــب نقطــة ســوداء

أنــا في زمــان غــادر ومعاشــر ⊛ يتلونــون تلــوّن الحربــاء
أعــداء غيـب ليـس يسلم صـاحب ⊛ منهـم وأخـوة محضـر ورخـاء
أقبـح بهـم قومًـا بلـوت إخـاءهم ⊛ فبلــوت أقبــح ذمّــة وإخــاء
قــد أصبحــوا للدّهــر سـبّة نــاقم ⊛ في كــلّ مصــدر محنــة وبــلاء
وأشــدّ مــا يلقـى الفتـى في دهـره ⊛ فقــد الكــرام وصحبــة اللؤمــاء
شــقي ابــن آدم في الزّمــان بعقلــه ⊛ إنَّ الفضيلــة آفــة العقــلاء

وقـال أيضًا :

أثريـت مجـداً فلـم أعبـأ بمـا سـلبت ⊛ أيـدي الحـوادث منّي فهـو مكتسـب
لا يخفـض البـؤسُ نفسًـا وهـي عاليـة ⊛ ولا يشـيد بذكـر الخـامل النّشـب

إنّي امرؤ لا يردّ الخوف بادرتي ❁ ولا يحيف على أخلاقي الغضب

ملكت حلمي فلم أنطق بمندية ❁ وصنت عرضي فلم تعلق به الرّيب

وما أبالي ونفسي غير خاطئة ❁ إذا تخرّص أقوام وإن كذبوا

ها ، إنّها فرية ، قد كان باء بها ❁ في ثوب (يوسف) من قبلي دم كذب

فإن يكن ساءني دهري وغادرني ❁ في غربة ليس لي فيها أخ حدب

فسوف تصفو الليالي بعد كدرتها ❁ وكلّ دور إذا ما تمّ ينقلب

❁❁❁

قال البارودي :

ومن أطاع رواة السّوء نفره ❁ عن الصّديق سماع القيل والقال

أدهى المصائب غدر قبله ثقة ❁ وأقبح الظّلم صدّ بعد إقبال

لا عيب فيَّ سوى حريّة ملكت ❁ أعنتي عن قبول الذلّ بالمال

تبعت خطّة آبائي فسرت بها ❁ على وتيرة آداب وآسال

فما يمرّ خيال الغدر في خلدي ❁ ولا تلوح سمات الشرّ في خالي

قلبي سليم ونفسي حرّة ويدي ❁ مأمونة ولساني غير ختّال

بلوت دهري فما أحمدت سيرته ❁ في سابق من لياليه ولا تالي

حلبت شطريه من يسر ومعسرة ❁ وذقت طعميه من خصب وإمحال

فما أسفت لبؤس بعد مقدرة ❁ ولا فرحت بوفر بعد إقلال

عفافة نزهت نفسي فما علقت ❁ بلوثة من غبار الذمّ أذيال

لا تحقرنّ امرءاً قد كان ذا ضعة ۞ فكم وضيع من الأقوام قد رأسا
وربّ قوم حقرناهم ولم نرهم ۞ أهلاً بخدمتنا صاروا هم الرؤسا

من اعتزّ بالمولى فذاك جليل ۞ ومن رام عزًّا من سواء ذليل
ولو أنّ نفسي مذ براها مليكها ۞ مضى عمرها في سجدة لقليل
أحبّ مناجاة الحبيب بأوجه ۞ ولكن لسان المذنبين كليل

قال ابن أبي الدُّنيا [1] :

بيني وبين لئام النّاس معتبة ۞ ما تنقضي وكرام النّاس خلاّني
إذا لقيت لئيم القوم أبغضني ۞ وإن لقيت كريم القوم حيّاني

قال الشّيخ أحمد بن برناس في قوم دبّروا له المكائد فانقلب عليهم كيدهم :

حفرتم قليبًا تضمرون وقوعنا ۞ وقعتم سريعًا في الّذي قد حفرتم
مكرتم بنا والمكر يصرع أهله ۞ فحاق بكم سوء بما قد مكرتم
سللتم سيوف البغي تبغون قتلنا ۞ ذبحتم جهاراً بالّذي قد سللتم
ظفرنا بكم لكن عفونا برحمة منّا ۞ ولو ظفرتم ساعة ما رحمتم

---

(١) من كتابه : « الإشراف على منازل الأشراف » ، ص٢٧ .

تفقّد السّادات خدّامهم ۞ مكرمة لا تنقص السؤددا

هذا سليمان على ملكه ۞ قد قال مالي لا أرى الهدهدا

قال بعض الأدباء في شكوى الزّمان :

أيا وقتي عدمتك من وقيتٍ ۞ ويا زمني عدمتك من زميني

أعني بنيك مثل الذئب فيه ۞ مخالسة ومكر أبي الحصيني

وقال :

وقد يدرك المرء الخمول فيختفي ۞ وإن كان في جمع من النّاس حاضرا

ويُحسب في الغُيَّاب وهو جليسهم ۞ ويُنسى إذا ما جاء القوم زائرا

ألم تر أنّ الدّهر يوم وليلة ۞ يكرّان من سبت إلى سبت

فقل لجديد العيش لا بُدّ من بِلَى ۞ وقل لاجتماع الشّمل لا بُدّ من شتّ

وكم من صديق ودّه بلسانه ۞ خؤون بظهر الغيب لا يَتَذَمَّمُ

يضاحكني لطفًا إذا ما قابلته ۞ وتقصدني منه إذا غبت أسهم

كذلك ذو الوجهين يرضيك شاهدا ۞ وفي غيبه إن غاب صاب وعلقم

قال أبو العلاء المعرّي :

إذا كنت تبغ العيش فابغ توسّطا ❁ فعند التّناهي يقصّر المتطاول
تُوقَّى البدورُ النّقصَ وهي أهِلَّةٌ ❁ ويدركها النّقصان وهي كوامل

قال الإمام الشّافعيّ رحمه اللّه تعالى :

لقد أسمع القول الّذي كان كلّما ❁ تذكرنيه النّفس قلبي تَصَدَّعا
فأُبدي لمن أبداه منّي بشاشة ❁ كأنّي مسرور بما فيه أسمع
وما ذاك من عجب به غير أنّني ❁ أرى ترك بعض الشرّ للشّر أقطع

وقال أيضًا :

يخاطبني السّفيه بكلّ قبح ❁ فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة وأزيد حلما ❁ كعود زاده الإحراق طيبا

وقال أيضًا :

وما أَحَدٌ من أَلْسُن النّاس سالم ❁ ولو أنَّهُ كان النّبيّ المطهّر
فإن كان سكيتا يقولون أبكم ❁ وإن كان منطيقًا يقولون أهذر
وإن كان صوّامًا وبالليل قائما ❁ يقولون زراق يرائي وينكر

قال أحد الشّعراء في الهديّة :

إنَّ الهديّة حلوة ❀ كالسّحر تجتلب القلوبا
تدني البغيض من الهوى ❀ حتّى تصيِّرَه قريبا
وتعيد مضطغن العداوة ❀ بعد نفرته حبيبا

قال أبو الحسن المالطي :

أقول لأهل اللبّ والعقل والحجى ❀ مقالَ مريدٍ للثّواب وللأجر
وأسأل ربّي نصره وعطاءه ❀ وطرد دواعي العجب عنِّي والكبر
وأدعوه خوفًا راغبًا بتذلّل ❀ ليغفر لي ما كان من سيء الأمر
وأسأله عونًا كما هو أهله ❀ أعوذ به من آفة القول والفخر

قال أبو تمّام [1] :

إذا جاريت في خلق دنيئا ❀ فأنت ومن تجاريه سواء
رأيت الحرّ يجتنب المخازي ❀ ويحميه عن الغدر الوفاء
وما من شدّة إلاّ سيأتي ❀ لها من بعد شدّتها رخاء
لقدْ جرّبت هذا الدّهر حتّى ❀ أفادتني التّجارب والعناء
يعيش المرء ما استحيا بخير ❀ ويبقى العود ما بقي اللّحاء
إذا لم تخش عاقبة اللّيالي ❀ ولم تستح فاصنع ما تشاء

---

(١) من كتاب جواهر الأدب : ٢/٤٥٤ .

الاحتراز من النِّساء

إِنَّ النّســـاء وإن ذكـــرن بعفّـــة ۞ فيمـــا يظـــاهر في الأمـــور ويكتـــم

لحـــم أطـــاف بـــه ســـباعُ جُـــوَّعُ ۞ مـــا لا يـــذاد فإنّـــه يُتَقَسَّـــمُ

لا تـــأمنن أنثـــى حيـــاتك واعلمـــن ۞ أنّ النّســـاء ومـــاهن مقســـم

اليـــوم عنـــدك دلّهـــا وحديثهـــا ۞ وغـــدا لغـــيرك كفّهـــا والمعصـــم

كالخـــان تســـكنه وتصبـــح غاديًـــا ۞ ويحـــلّ بعـــدُ فيـــه مـــن لا تعلـــم

قال شيخ من الأعراب في عجوز :

عجـــوز ترجـــو أن تكـــون فتيّـــة ۞ وقد لجب الْجَنْبانِ واحدودب الظّهر

تـــدسّ إلى العطّـــار ســـلعة بيتهـــا ۞ وهل يصلح العطّار مـا أفسـد الدّهـر

ومـــا غرّنـــي إلاّ خضـــاب بكفّهـــا ۞ وكحـــل بعينيهـــا وأثوابهـــا الصّفـــر

وجـــاءوا بهـــا قبـــل المحـــاق بليلـــة ۞ فكـــان محاقًـــا كلّـــه ذلـــك الشّـــهر

۞۞۞

سرور الشّخص بين أهله

من لم يعش بين أقوام يُسَرُّ بهم ❁ فعيشه أبداً همّ وأحزان
وأخبث العيش ما للنّفس فيه أذى ❁ خضر الجنان مع الأعداء نيران
وأطيب العيش ما للنّفس فيه هوى ❁ سَمُّ الخياط مع الأحباب مَيْدان

❁❁❁

وقال مسكين في كتمان السرّ :

[(١)] وفتيانِ صدقٍ لستُ مُطْلِعَ بعضهم ❁ على سرّ بعض غير أن جماعها
لكلّ امرئ شِعْبٌ من القلب فارغ ❁ وموضعُ نجوى لا يرام اطلاعها
يظلّون شتّى في البلاد وسرهم ❁ إلى صخرة أعيا الرّجالَ انصداعُها

قال الشّيخ محمَّد بن جُزَيّ :

لكلّ بني الدُّنيا مراد ومقصد ❁ وإنّ مرادي صحّة وفراغ
لأبلغ في علم الشّريعة مبلغا ❁ يكون به لي للجنّات بلاغ
ففي مثل هذا فلينافس ذوي النّهى ❁ وحسبيَ من دار الغرور بلاغ

---

(١) من كتاب جواهر الأدب : ٢/٤٦٩ .

قال مصطفى صادق الرّافعيّ في الوطن [1] :

بلادي هواها في لساني وفي دمي ❁ يمجدّها قلبي ويدعو لها فمي
ولا خير فيمن لا يحبّ بلاده ❁ ولا في حليف الحبّ إن لم يتيّم
ومن تؤوه دار فيجحد فضلها ❁ يكن حيوانًا فوقه كلّ أعجم
ألم تر أنّ الطّير إن جاء عشّه ❁ فآواه في أكنافه يترنّم
وليس من الأوطان من لم يكن لها ❁ فداء وإن أمسى إليهنّ ينتمي
على أنّها للنّاس كالشّمس لم تزل ❁ تضي لهم طرًّا وكم فيهم عمي
ومن يظلم الأوطان أو ينس حقّها ❁ تجئه فنون الحادثات بأظلم
ولا خير فيمن إن أحبّ دياره ❁ أقام ليبكي فوق ربع مهدّم
وقد طويت تلك الليالي بأهلها ❁ فمن جهل الأيّام فليتعلّم
وما يرفع الأوطان إلاّ رجالها ❁ وهل يترقّى النّاس إلاّ بسلّم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ❁ على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يتقلّب في النّعيم شقي به ❁ إذا كان من آخاه غير منعم

إذا جرحت مساويهم فؤادي ❁ صبرت على الإساءة وانطويت
وجئت إليهمُ طلق المحيّا ❁ كأنّي لا سمعت ولا رأيت

❁❁❁

(١) من كتاب جواهر الأدب : ٤٧٥/٢ ، ٤٧٨ ، ٤٨٤ .

قال الشّاعر البهاء زهير :

[1] سواي لأقوال العِداة مصدق ۞ وغيريَ في عَتْب المحبّ عجولُ
سيندم بعدي من يروم قطيعتي ۞ ويذكر قولي والزّمان طويل

قال عمارة الحكمي :

وعاشرت أقوامًا يزيدون كثرة ۞ على الألف وعدِّ الحصى حين يحسب
فما راقني في روضهم قطّ مرتع ۞ ولا شاقني في ودّهم قطّ مشرب
تراني وإيّاهم فريقين كلّنا ۞ بما عنده من عزّة النّفس معجب
فعندهم دنيا وعندي فضيلةٌ ۞ ولا شكّ أنّ الفضلَ أعلى وأغلب
على أنّ عندي ما يدوم بقاؤه ۞ عليَّ ويفنى المال عندهمُ ويذهب
أناس مضى صدر من العمر عندهم ۞ أصعد ظنّي فيهمُ وأصوب
رجوت بهم نيل الغنى فوجدته ۞ كما قيل في الأمثال عنقاء مُغْرِبِ
كأنّ القوافي حين تدعى لشكرهم ۞ على الجمر تمشي أو على الشّوك تسحب
أفوه بحقّ كلّما رمت ذمّهم ۞ وما غير قول الحقّ لي قطّ مذهب
وأصْدُق إلاّ أن أريدَ مديحهم ۞ فإنّي على حكم الضّرورة أكذب

---

(١) نقلاً من ديوانه ، ص٢١٦ .

وقال الإمام الشّافعيّ في المعاشرة :

إذا المرء لا يرعاك إلاّ تكلّفا ۞ فدعه ولا تكثر عليه التأسّفا
ففي النّاس أبدال وفي التّرك راحة ۞ وفي القلب صبر للحبيب ولو جفا
فما كلّ من تهواه يهواك قلبه ۞ ولا كلّ من صافيته لك قد صفا
إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة ۞ فلا خير في ودّ يجيء تكلّفا
ولا خير في خلّ يخون خليله ۞ ويلقاه من بعد المودة بالجفا
وينكر عيشًا قد تقادم عهده ۞ ويلقاه من بعد المودّة بالجفا
سلام على الدُّنيا إذا لم يكن بها ۞ صديق صدوق صادق الوعد منصفا

يقول عمر بن قميئة :

رمتني بنات الدّهر من حيث لا أدري ۞ فكيف لمن يرمي وليس برام
فلو أنّها نبل إذا لأتقيتها ۞ ولكنني أرمي بغير سهام
وأفنى وما أفني من الدّهر ليلة ۞ ولم يغن ما أفنيت سلك نظام
وأهلكني تأميل يوم وليلة ۞ وتأميل عام بعد ذاك وعام

قال أحدهم :

ملك أبوه وأمّه من دوحة ۞ منها سراج الأمّة الوهّاج
شربوا بمكّة في ذرى بطحائها ۞ ماء النّبوّة ليس فيه مزاج

قال محمود سامي البارودي :

ترنّم بأشعاري ودع كلّ منطق ❀ فما بعد قولي من بلاغ لمفلق
هو العسل الماذي طوراً وتارة ❀ يثور الشجى منه مكان المخنق
يغني به شاد ويحدو ركابه ❀ به كلّ حاد بين بيداء سملق
فطوراً تراه زهرة بين مجلس ❀ وطوراً تراه لهذمًا بين فيلق
وما كلفي بالشّعر إلاّ لأنّه ❀ منار لسار أو نكال لأحمق
علقت به طفلاً وشبت ولم أزل ❀ شديداً بأهداب الكلام تعلّقي
إذا قلت بيتًا سار في الدّهر ذكره ❀ مسير الحيا ما بين غرب ومشرق
يهيم به ربُّ الحسام حماسة ❀ وتلهو به ذات الوشاح المنمّق
بلغت بشعري ما أردت فلم أدع ❀ بدائع في أكمامها لم تفتق
فهذا نمير الشّعر فاقصد حياضه ❀ لتروي وهذا مرتقى الفضل فأرتق

❀❀❀

وممّا قيل في الدّراهم :

يـُا فاضلاً فاق في المعاني ❀ وهو بأحكامها خبير
ما اسم إذا المرء لم يصبه ❀ أصابه نصفه الأخير

إنَّ الدّراهم شأنها ❀ ألم ؟ يشق على الكرام
الضّرب أوّل أمرها ❀ والحبس في أيدي اللئام

قال أحدهم :

إذا أنت عبت قومًا عابوا وأكثروا ۞ عليك وأبْدَوْا منك ما كان يُسْتَرُ
إذا ما ذكرت النّاس فاترك عيوبهم ۞ فلا عيب إلاّ دون ما بك يذكر
فإن عبت قومًا بالّذي ليس فيهمُ ۞ فذلك عند اللّه والناسِ أكْبر
وإن عبت قومًا بالّذي فيك مثله ۞ فكيف يعيب العور من هو أعور
فكيف يعيب النّاس مَنْ عَيْبُ نفسِه ۞ أشدّ إذا عُدَّ العيوبُ وأنكر
فسالمهم بالكفّ عنهم فإنّهم ۞ بعيبك من عينيك أهدى وأبصر

وقال البارودي :

إلى اللّه أشكو إنّني بين معشر ۞ سواء لديهم طيّب وخبيث
لهم ألسن إن رُمْنَ أمراً بلغنه ۞ من النّفس ، مصنوع لهنّ حديث
تَرِثُ على قرب الوداد عهودهم ۞ وكيف يدوم الشيء وهو رَثِيثُ
فليس لهم في سالف الدّهر محتد ۞ قديم ، ولا في المكرمات حديث
برمت بهم حتّى سئمت مكانتي ۞ وأنكرت طيب العيش وهو دميث
إذا لم يغثن اللّه منهم بفضله ۞ فمالي بين العالمين مغيث

صحبت بني الدُّنيا طويلاً فلم أجد خليلا ۞ فهل من صاحب أستجده ؟
فأكثر من لاقيت لم يصف قلبه ۞ وأصدق من واليت لم يغن ودّه
أطالب أيّامي بما ليس عندها ۞ ومن طلب المعدوم أعياه وجده

فما كـلّ حـيّ ينصـر القـول فعلـه ۞ ولا كـلّ خـلّ يصـدق النّفـس وعـده
وأصعـب مـا يلقـى الفتـى في زمانـه ۞ صحابة من يشـفي مـن الـدّاء فقـده

قال البارودي :

إذا المرء لم يدفع يد الجور إن سطت ۞ عليه فـلا يأسـف إذا ضـاع مجـده
ومن ذلّ خـوف المـوت كـانت حياتـه ۞ أضـرّ عليـه مـن حِمـامٍ يـؤده
وأقتـل داء رؤيـة العـين ظالمـا ۞ يسـيء ، ويتلـى في المحـافل حمـده
علام يعيش المـرء في الدّهـر خـاملا ۞ أيفـرح في الدُّنيـا بيـوم يعـده
يـرى الضّيـم يغشـاه فيلتـذّ وقعـه ۞ كمـا جـرب يلتـذّ بـالحكّ جلـده
إذا المـرء لاقـى السّيل ثمت لم يعـج ۞ إلى وزر يحميـه أرداه مـده ؟
عفاءٌ علـى الدُّنيـا إذا المـرء لم يعـش ۞ بهـا بطـلاً يحمـي الحقيقـة شـدّة
مـن العـار أن يرضـى الفتـى بمذلّـة ۞ وفي السّيف مـا يكفـي لأمـر يعـده
وإنـي امـرؤ لا أسـتكين لصولـة ۞ وإن شـدّ سـاقي دون مسـعاي قـده
أبـت لي حمـل الضّيـم نفـس أبيّـة ۞ وقلـب إذا سـيم الأذى شـب وقـده
نمـاني إلى العليـاء فـرع تـأثّلت ۞ أرومتـه في المجـد وافـتر سـعده
وحسب الفتى مجداً إذا طالب العلا ۞ بمـا كـان أوصـاه أبـوه وجـدّه
إذا ولـد المولـود منّـا فـدرّه ۞ دم الصّيـد والجـرد العنـاجيج مهـده
فـإن عـاش فـالبيد الديـاميم داره ۞ وإن مـات فالطّـير الأضـاميم لحـده
أصـدّ عـن المرمـى القريـب ترفعـا ۞ وأطلـب أمـراً يعجـز الطّـير بعـده

قال البارودي :

جزى اللّه خيراً من جزاني بمثله ۞ على شقة غَـزْرُ الحياة بها ثَمْدُ
أَبِيتُ لذكراكم بها متململا ۞ كأنّي سليم ، أو مشت نحوه الوِرْدُ
فلا تحسبوني غافلاً عن ودادكم ۞ رويداً فما في مهجتي حجر صلْد
هو الحبّ لا يثنيه نأي ، وربما ۞ تأرج من مسّ الضّرام له النـدّ
نأت بي عنكم غربة ، وتجهّمت ۞ بوجهيَ أيّام خلائقها نكد
أدور بعيني لا أرى غير أمّة ۞ من الرّوس بالبلقان تخطئها العدّ
جوات على هام الجبال لغارة ۞ يطير بها ضوء الصّباح إذا يبدو
إذا نحن سرنا صرّح الشّر باسمه ۞ وصاح القنا بالموت واستقتل الجند
فأنت ترى بين الفريقين كُبَّةً ۞ يُحدِّثُ فيها نفسه البطل الجعد
على الأرض منها بالدّماء جداول ۞ وفوق سراة النّجم من نقعها لِبْد
إذا اشتبكوا أو راجعوا الزّحف خِلْتَهم ۞ بحوراً توالى بينها الْجَزْرُ والْمَدُّ
نَشِلُّهُمُ [1] شَلَّ العِطَاشِ وَنَتْ بِهَا ۞ مُرَاغَمَةَ السُّقْيَا ، وماطلها الوِرْدُ
فهم بين مقتول طريح ، وهارب ۞ طليح ، ومأسور يجاذبه القيد
نروح إلى الشّورى إذا أقبل الدّجى ۞ ونغدو عليهم بالمنايا إذا نغدو
ونَقْعٌ كَلُجِّ البحر خُضْتُ غماره ۞ ولا معقل إلاّ المَنَاصِلُ والجُرْد
صبرت له والموت يحمر تارة ۞ ويَنْغَلُّ [2] طوراً في العَجاج فَيَسْوَدُّ ؟

---

(١) نشلّهم : نطردهم .

(٢) ينغل : يدخل .

فما كنت إلاّ اللّيثَ انهضه الطوى ۞ وما كنت إلاّ السّيفَ فارقه الغمد

صئول وللأبطال همس من الونى ۞ ضروب وقلب القِرن في صدره يعدو

فما مهجة إلاّ وروحي ضميرها ۞ ولا لَبَّةُ إلاّ وسيفي لها عقد

وما كلّ ساعٍ بالغُ سُؤْلَ نفسِهِ ۞ ولا كلّ طَلاّبٍ يُصَاحِبُه الرّشْد

إذا القلب لم ينصرك في كلّ موطن ۞ فما السّيف إلاّ آلة حَمْلُهَا إدُّ

إذا كان عقبى كلِّ شيء وإن زَكَا ۞ فناءُ ، فمكروه الفناء هو الخلد

وتخليد ذكر المرء بعد وفاته ۞ حياة له ، لا موت يلحقها بعد

ففيم يخاف المرء سورة يومه ۞ وفي غده ما ليس من وقعه بُدُّ

ليَضْنَ بِيَ الحسّاد غيظًا ، فإنّني ۞ لآنافهم رَغْمُ وأكبادهم وقد

أنا القائل المحمود من غير سبّة ۞ ومن شيمة الفضلِ العداوةُ والضدّ

قال أحدهم :

ولي مذهب في هجري الأنس نافع ۞ إذا القوم خاضوا في اختيار المذاهب

أرانا على السّاعات فرسانَ غارة ۞ وهنّ بنا يجرين جري السلاهب

وممّا يزيد العيش إخلاقُ ملبسٍ ۞ تأسف نفس لم تطق ردّ ذاهب

وقال بعضهم :

إنَّ الليالي للأنام مناهل ۞ تطوى وتنشر دونها الآجال

فطُوالُهن مع السّرور قصيرة ۞ وقصارهنّ مع الهموم طوال

مضار القات الَّذي يمضغه أهل اليمن [1]

إن رمـت تعـرف آفـة الآفـات ۞ فـانظر إلى إدمـان مضـغ القـات

القـات قتـل للمواهـب والقـوى ۞ ومولّـد للهـمّ والحسـوات

مـا القـات إلاّ فكـرة موهومـة ۞ ترمـي النّفـوس بأبشـع النّكبـات

ينسـاب في الأحشـاء داء فاتكـا ۞ ويعـرض الأعصـاب للصّدمـات

يَـذَرُ العقـول تتيـه في أوهامهـا ۞ ويذيقهـا كـأس الشّـقاء العـاتي

ويميـت في روح الشّـباب طموحـه ۞ ويذيـب كـلّ عزيمـة وثبـات

يغتـال عمـر المـرء مَـعْ أموالـه ۞ ويزيـده ألوانًـا مـن النّقمـات

هـو لـلإرادة والفتـوّة قـاتل ۞ هـو مـاحق للأوجـه النّضـرات

فـإذا نظـرت إلى وجـوه هواتـه ۞ أبصـرت فيهـا صفـرة الأمـوات

قال الإمام الشّافعيّ [2] :

تعصـي الإلـه وأنـت تظهـر حُبَّـه ۞ هـذا محـال في القيـاس بديـع

لـو كـان حبّـك صادقًـا لأطعتـه ۞ إنَّ المحـبّ لِمـن يُحـبُّ مطيـع

في كـلّ يـوم يبتديـك بنعمـةٍ ۞ منـه وأنـت لشـكر ذاك مضيـع

---

(١) من كتاب إصلاح المجتمع ، للشّيخ محمَّد سالم البيحاني .

(٢) من ديوان الإمام الشّافعيّ ، ص٥٨ .

قال الإمام الشّافعيّ [١] :

وربّ ظلوم قد كُفِيتُ بحربه ❁ فأوقعه المقدور أيّ وقوع
فما كان لي الإسلام إلاّ تعبّدا ❁ وأدعية لا تتّقى بدروع
وحسبك أن ينجو الظّلوم وخلفه ❁ سهام دعاء من قسيّ ركوع
مُرَيَّشَةٌ بالهدب من كلّ ساهر ❁ منهّلة أطرافها بدموع

قال الإمام الشّافعيّ [٢] :

إذا لم أجد خلاّ تقيًّا فوِحدتي ❁ ألذّ وأشهى من غَوِيٍّ أعاشره
وأجلس وحدي للعبادة آمنا ❁ أقرّ لعيني من جليس أحاذره

وقال أيضًا [٣] :

إنّي صحبت النّاس مالهم عدد ❁ وكنت أحسب أنّي قد ملأت يدي
لمّا بلوت أخلاّئي وجدتهم ❁ كالدّهر في الغدر لم يُبْقُوا على أحد
إنْ غبت عنهم فشرّ النّاس يشتمني ❁ وإن مرضت فخير النّاس لم يعد
وإنْ رأوني بخير ساءهم فرحي ❁ وإن رأوني بشرّ سرّهم نكدي

---

(١) من ديوان الإمام الشّافعيّ ، ص٥٧ ـ ٥٨ .

(٢) من ديوان الإمام الشّافعيّ ، ص٤٣ .

(٣) من ديوان الإمام الشّافعيّ ، ص٣٧ .

وقال أيضًا[1] :

ولما أتيت النّاس أطلب عندهم ⊛ أخا ثقة عند ابتلاء الشّدائد
تقلّبت في دهري رخاء وشدّة ⊛ وناديت في الأحياء هل من مساعد
فلم أر فيما ساءني غيرَ شامت ⊛ ولم أر فيما سرّني غيرَ حاسدْ

قال محمَّد عليّ مغربيّ[2] :

إنّي أرى النّاس في حال مع الزّمن ⊛ من كان في فرح أو كان في حزن
هذا يرى الوقت يمضي مثل بارقة ⊛ وذاك يحسبه يمشي على وهن
والوقت يمضي كما شاء الإله له ⊛ سبحان من نظم الأكوان بالسّنن
إن يسرع الوقت أو يبطئ ، فإنّ به ⊛ بعضًا من العمر قد ولّى مع الزّمن

[3] الحمد للّه .. لا شوق ، ولا لهف ⊛ ولا شجون ، ولا وجد ، ولا شغف
بان الشّباب الّذي كانت نوازعه ⊛ كشعلة النّار بالأهواء ترتجف
وأصبح العقل ميدانًا أروض به ⊛ نوازع النّفس أن تطغى فتنجرف
لقد رضيت مشيبي إذ وجدت به ⊛ سكينة النّفس إنّ الشّيب يؤتلف

---

(١) من ديوان الإمام الشّافعيّ ، ص٣٧ .

(٢) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص٩ .

(٣) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص١٦ .

(١) إنّما الإسلام حزب واحد ۞ ما الّذي فرّق حزب المسلمين ؟
خالق فرد ، نبيّ خاتم ۞ وكتاب واحد حقّ مبين
كعبة عظمى نولّي وجهنا ۞ شطرها للّه دومًا عابدين
فلماذا الحرب فيما بيننا ۞ تحصد الأرواح والمال الثّمين ؟

(٢) ذكريات الشّباب طافت بذهني ۞ بعدما ضاع من حياتي الشّباب
الرّفاق الكرام غابوا عن العيـ ۞ ـن .. كما غيّب النّجوم السّحاب
والمغاني الّتي ألفت تناءت ۞ بعد العهد مذ مضى الأحباب
صارت الكتب واليراع جليسي ۞ ورفيقي إذا دعاني اغتراب

(٣) إن كنت تعطي للفخار وللثّناء ۞ فلقد زرعت وما حصدت سوى الهباء
أوتيت حظّك من ثناء النّاس في ۞ الدّنيا .. فما أبقيت في يوم الجزاء ؟
والباذل المعطاء يمنح راضيًا ۞ متكتّمًا من غير منٍّ أو رياء
يرجو رضاء اللّه .. يرحم خلقه ۞ والرّاحمون يظلّهم عرش السّماء

(١) رباعيّات محمّد عليّ مغربي ، ص١٨ .
(٢) رباعيّات محمّد عليّ مغربي ، ص٢٢ .
(٣) رباعيّات محمّد عليّ مغربي ، ص٢٨ .

[1] سألت ربّي في الثّلث الأخير من الشّهر ❁ وفي الليلــة الغــرّاء ليلــة القــدر
صلاحًــا لحــال المسلمين جميعهــم ❁ ونصــرًا عظيمًــا للجهــاد علــى الكفــر
ورحمــى تعــمّ الأرض أمنًــا وراحــة ❁ فقــد غصّــت الأيّــام بالســوء والشــرّ
فيــا ربّ لطفًــا بالعبــاد فــإنّهم ❁ عيــالك فــالطف بالمســيء وبالبــرّ

[2] خـــير مـــا تملـــك وقتـــك ❁ لا تضيّعـــــه فتهلـــــك
لا تمزقـــــه هبـــــاء ❁ إنّـــــه عمـــــرك وحـــــدك
ليـــس مـــن يســـرق كســـبك ❁ مثـــل مـــن يســـرق عمـــرك
قـــد يعـــود المـــال لكـــن ❁ لـــن يعـــود العمـــر ويحـــك

[3] وفي النّفــوس وعــاء نحــن نملــؤه ❁ فــانظر لنفسـك مــاذا أنــت ماليهــا
إن كنــت تملؤهــا حبًــا ســعدت بــه ❁ أو كنــت تملؤهــا بغضًــا فتشــقيها
مــا أســوأ العيــش إن كنّــا نكــدّره ❁ ونمــلأ النّفــس بالأضغــان نؤذيهــا
والحــبّ يحتضــن الدّنيــا برحمتــه ❁ رضًــا وأمنًــا ، وإيمانًــا .. فيهديهــا

---

(١) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص٣٣ .
(٢) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص٣٤ .
(٣) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص٣٥ .

[(١)] سألت اللّه في العام الجديد ۞ صفاء للصّدر من الحقود
ويلقي المسلمون سلاح حرب ۞ يسدّد للقلوب وللكبود
ويعتنق القريب أخاه حبّا ۞ وننسى كلّ أسباب الصّدود
وتتّحد الجهود ليوم فصل ۞ لنصر القدس من بغي اليهود

[(٢)] ألا ليت شعري .. والحوادث جمّة ۞ متى تنجلي يا ربّ سود الغياهب
تعربد إسرائيل بين ديارنا ۞ وتختال في زهو بصولة غالب
نحاربها بالشّجب في كلّ محفل ۞ فهل تفعل الأقوال فعل القواضب ؟
ويحرق بعض المسلمين دماءهم ۞ سفاهًا كأنّ القتل برّ الأقارب

[(٣)] ولم أر كالعلوم ضياء عقل ۞ وباعث همّة وسبيل مجد
ألم تر أنّ القوم سادوا ۞ بما بلغوه من علم وجَهد
وفي قرآننا هدي وعلم ۞ صراط مستقيم للمهتدي
وكلّ منارة للعلم تعلى ۞ سبيلاً للعلا وطريق سعد

---

(١) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص٣٨ .
(٢) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص٣٩ .
(٣) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص٤٠ .

(١) صفحـات الزّمـان بـالعمر تـترى ۞ مثـل سـرد الكتـاب سـطراً فسـطرا
هـل شـهدنا فيمـا رأينـاه خـيرا ۞ أم رأينـا فيـه شـروراً ونكـرا ؟
كلّمـا زادت الشّـرور وجدنـا ۞ مـا أتـى بعدهـا أشـرّ وأضْـرى
سـلّم اللّـه يـا لطيـف بـلادي ۞ مِـنْ أذاهـا وأبعـد السـوء طـرّا

(٢) شـبابُك كـنز فاغتنمـه غنـاء ۞ ووقتـك عمـر لا تضعـه هبـاء
ولا تقـض أيّـام الشّـباب تبلّـدا ۞ وزنهـا بمـا ترقـى بـه العليـاء
وخذ من شباب العمـر للشَّيْبِ عـدّة ۞ فـإنّك تلقـى مـا صنعـت جـزاء
فـإن الألى جـدّوا أفـادوا بجدّهـم ۞ وإن الألى عـاثوا غـدوا غربـاء

(٣) لمّـا رأيـت جموعهـم في المسـجدين ۞ سـبَّحْتُ ربّـي اللّـه ربَّ المشـرقين
وودت لـو هـذي الجمـوع تحرّكـت ۞ للمسـجد الأقصـى .. لأولى القبلتـين
حتّـام تجمعنـا الصّـلاة وننتهـي ۞ مـن بعدهـا فرقًـا تقاسـي غربتـين
واللّـه لـو هـذي الجمـوع توحّـدت ۞ قلبًـا .. لسـادت مشـرقين ومغربـين

---

(١) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص٤٣ .
(٢) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص٤٥ .
(٣) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص٦٢ .

[1] ولم أر في همـوم العـرب همّـا ۞ أشـدّ مـن التّخـالف والخصـام
يثـور الخلـف بينهمـو كلامـا ۞ فتمتـدّ الأكـفّ إلى الحسـام
ويقتـل بعضهـم بعضًـا سـفاها ۞ كـأنّ القتـل مـن شـيم الكـرام
عدوّكمـو بـأرض القـدس يزهـو ۞ هنـاك السّـيف .. لاحـرب الخيـام

[2] العمـر أثمـن مـا ملكـت فكـن لـه ۞ مثـل الحريـص علـى عزيـز المـال
لا تفنـه هـدراً .. فـإنّك فـاقد ۞ مـالا يعـوّض مـن نفيـس لآل
لا تـأس إن ضـاعت عليـك مرابـح ۞ مـا فـات يـدرك في زمـان تـال
لكـن عمـرك لا يعـوّض فاقضـه ۞ في فعـل مـا يرضـى لحسـن مـآل

[3] تـراه إذا مـا جئتـه متجهّمـا ۞ كـأنّك ترجـو منـه أو تتسـوّل
رويـدك يـا هـذا .. فلسـت بطـالب ۞ نـداك ، ولا أمـري إليـك محـوّل
أجـير لتقضـى حاجـة النّـاس فابتسـم ۞ وأد أمانـات إليـك توكـل
وخـذ بـالخلاق السّـمح تلـق محبّـة ۞ وذكـرا بـه تحلـو الحيـاة وتجمّـل

---

(١) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص٦٥ .
(٢) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص٧٢ .
(٣) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص٧٨ .

[1] تساءلني ماذا أفدت من الفكر ۞ ومن هذه الكتب المنوّعة الكثر
فقلت لها : إنَّ القراءة متعة ۞ تعوّدتها مذ كنت في ميعة العمر
أفدت بها علمًا .. ولذّ لناظري ۞ مواكب للتّاريخ أبصرتها تسري
فسطرتها ذكرى لمجد مؤثل ۞ تناءى مع الأيّام في غابر الدّهر

[2] رأيت العمر مثل الكتب تُطْوَى ۞ صحائفه بأيّام الزّمان
صحائف أُحصيت فيها خطانا ۞ فإنّ العمر يُحصَى بالتّواني
ونحن الرّاكضون بكلّ فجّ ۞ ونأسى إن تباعدت الأماني
وننسى أيّ عمر قد أضعنا ۞ بلا جدوى .. وهل للعمر ثاني

[3] ولم أر كالإسراف عيبًا وعلّة ۞ تصيب بضرّ في النّفوس وفي المال
فمسرف أكل قد أصابته علّة ۞ ومسرف مال قد أصيب بإقلال
وخير سبيل في الحياة توسّط ۞ فلا سرف يردي ولا ضيق بحال
وأكرم ما أنفقت ما صان أنفسا ۞ فأطعم من جوع وأصلح من حال

---

(١) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص٨٥ .
(٢) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص٨٨ .
(٣) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص٩٢ .

[1] تعال راجع غداً يا صاحبي تعبت ۞ منها النّفوس . وكاد القلب ينفلق
أليس يسأم منها من غدت مثلا ۞ في فيه .. يقذفها دومًا وينطلق
وارحمتاه لنا منكم ومن عندكم ۞ فإنّنا بوعود المين لا نثق
صونوا أمانة أعمال لكم وُكلت ۞ واصدقوا النّاس إنَّ النّاس قد زهقوا

[2] تغاضى عن الزلّات فهي عواثر ۞ وصفحك عنها قربة ومآثر
وإن كنت لا تغضي فمالك صاحب ۞ وإن كنت لا تعفو فإنّك خاسر
تقرّب إلى الرَّحمن بالعفو إنّه ۞ عفوّ .. وبعض العفو للحرّ آسر
ومن ذا الّذي يخلو من الذّنب والخطا ۞ فنحن أولو الأخطاء .. والربّ غافر !

[3] إذا كنت ذا جاه ومال ومنصب ۞ تجد ألف مدّاح وألف مرحب
كلامُك درّ إن نطقت .. وجلّه ۞ هراء .. يرى كالسّحر يتلى ويكتب
وإن زال عنك الجاه والمال والعلا ۞ فأنت إلى النّسيان أدنى وأقرب
تباعد عنك المادحون .. وإن تكن ۞ صفاتك كالماء الزّلال وتطرب

---

(١) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص١٠٠ .

(٢) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص١٠٣ .

(٣) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص١٠٤ .

[1] رأيتك تطغى بالثّراء وتظلم ❁ وتمنع إعطاء الحقوق وتحرم
وتختال بين النّاس تيهًا كأنّما ❁ بكفّك أرزاق العباد تقسم
رويدك يا هذا ! فللمال فتنة ❁ بها يبتلى الإنسان حينًا ويكْرم
فإن قابل النّعماء بالشّكر زاده ❁ وإن جار فالعقبى جحيم وعلقم

❁❁❁

قال السموأل بن عادياء [2]

إذا المرء لم يُدْنِسْ من اللؤم عرضَه ❁ فكلّ رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النّفس ضيمها ❁ فليس إلى حسن الثّناء سبيل
تعيِّرنا أنَّا قليلٌ عديدنا ❁ فقلت لها إِنَّ الكرام قليل
وما قلّ من كانت بقاياه مثلنا ❁ شباب تسامى للعلا وكهول
وما ضرّنا أنَّا قليل وجارنا ❁ عزيز وجار الأكثرين ذليل
لنا جبل يحتلّه من نجيره ❁ منيع يرد الطّرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثّرى وسما به ❁ إلى النّجوم فرع لا ينال طويل

---

(١) رباعيّات محمَّد عليّ مغربي ، ص١٠٥ .
(٢) جواهر الأدب : ٢/٢٥٩ .

هو الأبلق الفرد الّذي شاع ذكره ۞ يَعِزُّ على من رامه ويطول

وإنّا لقوم لا نرى القتل سبّة ۞ إذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حبّ الموت آجالنا لنا ۞ وتكرهه آجالهم فتطول

وما مات منّا سيّد حتف أنفه ۞ ولا طلّ منّا حيث كان قتيل

تسيل على حدّ الظبات نفوسنا ۞ وليست على غير الظبات تسيل

صفونا فلم نكدّر وأخلص سرنا ۞ إناث أطابت حملنا وفحول

علونا إلى خير الظّهور وحطنا ۞ لوقت إلى خير البطون تزول

فنحن كماء المزن صافي نصابنا ۞ كهام ولا فينا يعدّ بخيل

وننكر إن شئنا على النّاس قولهم ۞ ولا ينكرون القول حين نقول

إذا سيّد منّا خلا قام سيّد ۞ قؤول لما قال الكرام فعول

۞۞۞

قال محمّد بن عبد اللّه الأزديّ[1]:

لا أدْفع ابن العمّ يمشي على شفا ۞ وإن بلغتني من أذاه الجنادع

ولكنت أواسيه وأنسى ذنوبه ۞ لتُرْجِعَه يومًا إليّ الرّواجع

وحسبك من ذلّ وسوء صنيعة ۞ مناواة ذي القربى وإن قيل قاطع

---

(١) جواهر الأدب : ٢/٢٦٩ .

قال أوس بن حبناء [1] :

إذا المرء أولاك الهوان فأوله ۞ هوانًا وإن كانت قريبًا أواصره

فإن أنت لم تقدر على أن تهينه ۞ فذره إلى اليوم الَّذي أنت قادره

قال أبو العلاء المعرّي [2] :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل ۞ عفاف وإقدام وحزم ونائل

أعندي وقد مارستُ كلّ خفيّة ۞ يُصَدَّقُ واشٍ أو يُخَيَّبُ سَائِلُ

تعدّ ذنوبي عند قوم كثيرةً ۞ ولا ذنب لي إلاّ العلا والفضائل

كأنّي إذا طُلْتُ الزّمان وأهلَه ۞ رجعت وعندي للأنام طوائل

وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم ۞ بإخفاء شمس ضوءها متكامل

يهم الليالي بعضُ ما أنا مضمر ۞ ويَثْقُل رضوى دون ما أنا حامل

وإنّي وإن كنت الأخير زمانه ۞ لآت بما لم تستطعه الأوائل

وأغدو ولو أنّ الصّباح صوارم ۞ وأسري ولو أنّ الظّلام جحافل

وإنّي جواد لم يُحَلَّ لجامه ۞ ونُصْلُ يمانٍ أغفلته الصّياقل

فإن كان في لبس الفتى شرف له ۞ فما السّيف إلاّ غمده والحمائل

ولي منطق لم يرض لي كنه منزلي ۞ على أنّني بين السماكين نازل

لدى موطن يشتاقه كلّ سيّد ۞ ويقصر عن إدراكه المتناول

---

(١) جواهر الأدب : ٢/٢٦٩ .

(٢) جواهر الأدب : ٢/٢٧٤ .

قال محمود سامي البارودي [1] :

ولي شيمة تأبى الدّنايا وعزمة ۞ ترد لُهام الجيش وهو يمور

إذا سرت فالأرض الّتي نحن فوقها ۞ مَرَادٌ لمهري والمعاقل دور

فلا عَجَبَ إن لم يصرْ لِيَ منزل ۞ فليس لعقبان الهواء وكور

همَّامَةُ نفسٍ ليس ينفي ركابَها ۞ رواحٌ على طول المدى وبكور

معوّدة ألا تكفّ عنانها ۞ عن الجدّ إلاّ أن تتمّ أمور

لها من وراء الغيب أذن سميعة ۞ وعين ترى ما لا يراه بصير

وفَّيْتُ بما ظنّ الكرام فِراسة ۞ بأمري ومثلي بالوفاء جدير

وأصبحت محسود الخلال كأنّني ۞ على كلّ نفس في الزّمان أمير

إذا صُلْتُ كفّ الدّهر من غُلوائه ۞ وإن قلت غُصّت بالقلوب صدور

ملكت مقاليد الكلام وحكمة ۞ لها كوكب فخم الضّياء منير

وإنّي امرؤ صعب الشّكيمة بالغ ۞ بنفسي شأوًا ليس فيه نكير

قال بشّار بن برد [2] :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ۞ برأي نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشّورى عليك غضاضة ۞ فإنّ الخوافي قوّة للقوادم

وما خير كفّ أمسك الغلُّ أُختَها ۞ وما خير سيف لم يؤيَّد بقائم

وخلّ الهوينى للضّعيف ولا تكن ۞ نؤومًا فإنّ الحرّ ليس بنائم

---

(١) جواهر الأدب : ٢/٢٧٧ .

(٢) جواهر الأدب : ٢/١٨٧ .

قال بهاء الدِّين زهير (١) :

على الطائر الميمون يا خير قادم ۞ وأهلاً وسهلاً بالعلا والمكارم
قدمت بحمد اللّه أكرم مقدم ۞ مدى الدّهر يبقى ذكره في المواسم
قدومًا به الدُّنيا أضاءت وأشرقت ۞ ببشر وجوه أو بضوء مباسُم
فيا حسن ركب جئت به مسلّما ۞ ويا طيب ما أهدته أيدي الرّواسم
أمولاي سامحني فإنّك أهله ۞ وإن لم تسامحني فما أنت ظالمي

قال محمَّد بن زريق (٢) :

لا تعذليه فإنّ العذل يولعه ۞ قد قلتِ حقًّا ولكن ليس يسمعه
جاوزتِ في لومه حداً أضرَّ به ۞ من حيث قدرتِ أنّ اللّوم ينفعه
فاستعملي الرّفق في تأنيبه بدلا ۞ من عنفه فهو مُضْنَى القلبِ مُوجَعُهُ
قد كان مضلعلا بالخطب يحمله ۞ فضيقت بخطوب البين أضلعه
يكفيه من لوعة التّفنيد أنّ له ۞ من النّوى كلّ يوم ما تروعه
ما آب مغتربًا إلاّ وأزعجه ۞ رأي إلى سفر بالعزم يجمعه

---

(١) جواهر الأدب : ٢/٣٧١ .
(٢) جواهر الأدب : ٢/٣٧١ .

قال الأفوه الأزدي [1] :

البيت لا يبتنى إلاّ على عمدٍ ۞ ولا عماد إذا لم تُرسَ أوتاد
فإن تَجَمَّع أوتاد وأعمدة ۞ وساكن بلغوا الأمر الّذي كادوا
لا يَصلُح النّاسُ فوضى لا سراة لهم ۞ ولا سراة إذا جهّالهم سادوا
تُهْدَى الأمور بأهل الرأي ما صلحت ۞ فإن تولّت فبالأشرار تنقاد
إذا تولّى سراة النّاس أمرهم ۞ نما على ذاك أمر القوم فازدادوا

قال الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه [2] :

أما واللّه إنَّ الظّلم شؤم ۞ ولا زال المسيء هو الظّلوم
إلى الديّان يوم الدِّينِ نمضي ۞ وعند اللّه تجتمع الخصوم
ستعلم في الحساب إذا التقينا ۞ غداً عند المليك مَنِ الملوم
ستنقطع اللذاذة عن أناس ۞ من الدُّنيا وتنقطع الهموم
لأمر ما تصرّمت الليالي ۞ لأمر ما تحرّكت النّجوم
سلِ الأيّام عن أمم تقضّت ۞ ستنبيك المعالم والرّسوم

---

(١) جواهر الأدب : ٢/٤٢٢ .

(٢) جواهر الأدب : ٢/٤٢٢ .

وقال رضي الله عنه [1] :

عليـــك بـــبرّ الوالديــــن كليهمـــا ۞ وبـــرّ ذوي القربـــى وبـــرّ الأبـــاعد

ولا تصحـــبنْ إلاّ تقيًّـــا مهذّبـــا ۞ عفيفًـا ، ذكيًّـا ، منجـزًا للمواعيـد

وقـــارن إذا قـــارنت حـــرًّا مؤدّبـــا ۞ فتـى من بـني الأحـرار زيـنَ المشاهد

وكـفّ الأذى واحفـظ لسـانك واتّـق ۞ فدَيْنُـك في ودّ الخليـــل المســاعد

ونـافس ببـذل المـال في طلـب العـلا ۞ بهمّـة محمـود الخلائـق مـاجد

وكـن واثقًـا باللّـه في كـلّ حـادث ۞ يصنك مـدى الأيّـام مـن شـرّ حاسـد

وباللّـه فـاعتصم ولا تـرج غـيره ۞ ولا تـك في النّعمـاء عنـه بجـاحد

وغضّ عن المكـروه طرفـك واجتنـب ۞ أذى الجار واستمسك بحبـل المحامد

ولا تـبن في الدُّنيـا بنـاءَ مؤمّـلٍ ۞ خلـودًا فمـا حَـيٌّ عليهـا بخـالد

قال صلاح الدِّين خليل بن أَيْبك الصّفديّ :

[2] الجـدّ في الجـدّ والحرمـان في الكسـل ۞ فانصب تصب عن قريب غاية الأمل

واصبر على كـل مـا يـأت الزّمـان بـه ۞ صبر الحسـام بكـفّ الـدّارع البطـل

وجانب الحرص والأطماع تحظ بما ۞ ترجـو مـن العـزّ والتـأييد في عجـل

ولا تكونّـن علـى مـا فـات ذا حـزن ۞ ولا تظـلّ بمـا أوتيـت ذا جـذل

واستشـعر الحلـم في كـلّ الأمـور ولا ۞ تسـرع ببـادرة يومًـا إلى رجـل

---

(١) جواهر الأدب : ٢/٤٢٣ .

(٢) جواهر الأدب : ٢/٤٣٤ .

وإن بليت بشخص لا خلاق له ❁ فكن كأنّك لم تسمع ولم يقل
ولا تمار سفيهًا في محاورة ❁ ولا حليمًا لكي تُقْضِي عن الزّلل
ولا يغرنك من يبدي بشاشته ❁ إليك خدعًا فإنّ السمّ في العسل
وإن أدركت نجاحًا في كلّ آونة ❁ فاكتم أمورك عن حاف ومنتعل

وقال آخر :

وفي قبض كفّ الطّفل عند ظهوره ❁ دليل على الحرص المركّب في الحيّ
وفي بسطها عند الممات إشارة ❁ ألا فانظروني قد خرجت بلا شيّ

قال عمر بن الوردي [1] :

اعتزل ذكر الأغاني والغزل ❁ وقل الفصل وجانب من هزل
ودع الذّكرى لأيّام الصّبا ❁ فلأَيَّامُ الصّبا نجم أفل
واترك الغادة لا تحفل بها ❁ تمس في عزّ رفيع وتجل
وافتكر في منتهى حسن الّذي ❁ أنت تهواه تجد أمرًا جلل
واهجر الخمرة إن كنت فتى ❁ كيف يسعى في جنون من عقل ؟
واتّق اللّه فتقوى اللّه ما ❁ جاورت قلب امرئ إلاّ وصل
ليس من يقطع طُرْقًا بطلا ❁ إنّما من يتّقي اللّه البطل

(١) جواهر الأدب : ٢/٤٣٥ .

كتب الموت على الخلق فكم ۞ فلّ من جيش وأفنى من دول
أين نمرود وكنعان ومن ۞ ملك الأرض وولّى وعزل
وأين من سادوا وشادوا وبنوا ۞ هلك الكلّ ولم تغن القلل !
وأين أرباب الحجى أهل النّهى ۞ أين أهل العلم والقول الأول ؟
سيعيد اللّه كلا منهم ۞ وسيجزى فاعلاً ما قد فعل
اطلب العلم ولا تكسل فما ۞ أبعد الخير عن أهل الكسل
واحتفل للفقه في الدِّين ولا ۞ تشتغل عنه بمال وخول
واهجر النّوم وحصله فمن ۞ يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لا تقل قد ذهبت أربابه ۞ فكلّ من سار على الدّرب وصل
في ازدياد العلم إرغام العدا ۞ وجمال العلم إصلاح العمل

قال السيّد أحمد الهاشمي [1] :

مالي وللبلدة الحمقاء أسكنها ۞ مساكنًا لذوي خرق أولي حيل
وليس لي ناقة فيها ولا جمل ۞ وليس لي ثمّ من ثور ولا حمل
لا يستقيم وفاق لي بمثلهم ۞ وهل يطابق معوجّ بمعتدل ؟
قد ذقتهم وبلوت الحال عندهم ۞ فما حصلت على صاب ولا عسل
لا يفعلون إذا قالوا فقد بعدت ۞ مسافة الخلف من قول ومن عمل
(أضحت مواعيد عرقوب لهم مثلا) ۞ وما مواعيدهم إلاّ على دخل

---

(١) جواهر الأدب : ٢/٤٤٦ - ٤٤٧ .

أشـكو الزّمـان وأهليـه وأمقتهـم ۞ إذ سوء أفعالهم أوفى على القلل

ساءت سريرتهم ، حالت طريقتهم ۞ زاغت بصيرتهم عن أقوم السبل

علم بلا عمل ، حكم بلا حكم ۞ ظلم على عجل ، وعد على مهل

الإفك والزّور والبهتان عندهم ۞ والسّعي في الأرض بالإفساد والخلل

الكذب مستحسن والصّدق عندهم ۞ مستهجن من صفات العاجز الوكل

أهنى الطّعام لحوم النّاس عندهم ۞ والنّمّ فيما لديهم شربة العسل

نكث العهود سجاياهم ودأبهم ۞ خلف الوعد وذا من أسوأ الثقل

يا دهر مالك والأحرار تقهرهم ۞ تذلّ كلّ كريم الأصل مقتبل

وممّا قيل في الحلم [1] :

ألا إنَّ حلم المرء أكرم نسبة ۞ تسامى بها عند الفخار حليم

فيا ربِّ هب لي منك حلمًا فإنّني ۞ أرى الحلم لم يندم عليه كريم

ولا خير في حلم إذا لم يكن له ۞ بوادر تحمي صفوه أن يكدّرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له ۞ حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

إذا كنت محتاجًا إلى الحلم إنّني ۞ إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج

ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ۞ ولي فرس للجهل بالجهل مسرج

فمن شاء تقويمي فإنّي مقوّم ۞ ومن شاء تعويجي فإنّي معوج

وما كنت أرضى بالجهل خدنًا وصاحبا ۞ ولكنني أرضى به حين أحرج

---

(١) نقلاً من كتاب جواهر الأدب : ٢/٤٨٧ .

وقال بعضهم في وجوب الثّبات (١) :

السّبُع سبُع ولو كلّت مخالبه ۞ والكلب كلب ولو بين السّباع ربي

وهكذا الذّهب الإبريز خالطه ۞ صفر النّحاس وكان الفضل للذّهب

لا يعجبنّك أثواب على رجل ۞ دع عنك أثوابه وانظر إلى الأدب

فالعود لو لم تفح منه روائحه ۞ لم يفرق النّاس بين العود والحطب

وليس يسود المرء إلاّ بنفسه ۞ وإن عدّ آباء كرامًا ذوي حسب

إذا العود لم يثمر ولو كان شعبه ۞ من المثمرات اعتده النّاس من حطب

قد ينفع الأدب الأحداث من صغر ۞ وليس ينفع بعد الشّيبة الأدب

إنّ الغصون إذا قوّمتها اعتدلت ۞ ولن يلين إذ قرمته الخشب

قال محمّد اليمني نجم الدّين (٢) :

ولا تحتقرن كيد الضّعيف فربما ۞ تموت الأفاعي من سموم العقارب

وقد هَدَّ قِدْمًا عرش بلقيس هدهدُ ۞ وخرب حفر الفأر سدّ المأرب

إذا كان رأس المال عمرك فاحترز ۞ عليه من الإنفاق في غير واجب

فبين اختلاف الليل والصّبح معترك ۞ يكرّ علينا جيشه بالعجائب

وما راعني غدر الشّباب لأنّني ۞ أنست بهذا الخلق من كلّ صاحب

وغدر الفتى في عهده ووفائه ۞ وغدر المواضي في نبو المضارب

---

(١) نقلاً من كتاب جواهر الأدب : ٢/٤٦٦ .

(٢) جواهر الأدب : ٢/٤٤٧ .

قال محمّد عليّ مغربي [1] :

سألت اللّه عافية وعفوا ۞ وإيمانًا ألوذ به وأمنا
وحسن سلامة وشفاء سقم ۞ وبعداً عن خطيئات وصونا
ولطفًا في القضاء إذا قضاه ۞ وصبراً إن دهى كرب وعونا
سألت اللّه وهو لمن دعاه ۞ مجيب مغدق كرما ومنّا

سأل الحجّاج شيخًا فقال : كيف طعامك ؟ قال : إذا أكلت ثقلت ، وإذا تركت ضعفت ، قال : كيف نكاحك ؟ قال : إذا بُذِل لي عجزت ، وإذا منعت شرهت ، قال : كيف نومك ؟ قال : أنام في المجمع ، وأسهر في المضجع ، قال : فكيف قيامك وقعودك ؟ قال : إذا قعدت تباعدت عنّي الأرض ، وإذا قمت لزمتني ، قال : كيف مشيك ؟ قال : تعقلني الشّعرة ، وتعثرني البعرة .

قال الشّيخ سعد الدِّين التفتازاني :

إذا خاض في بحر التفكّر خاطري ۞ على درّة من معضلات المطالب
حقرت ملوك الأرض في نيل ما حووا ۞ ونلت المنى بالكتب لا بالكتائب

شكوت وما الشّكوى لمثلي عادة ۞ ولكن تفيض الكأس عند امتلائها
وليس أخي من ودّني رأي عينه ۞ ولكن أخي من ودّني وهو غائب

(١) رباعيّات محمّد عليّ مغربي ، ص٢٥٩ .

ولا بُدّ من شكوى إلى ذي مروءة ۞ يواسيك أو يَسليك أو يتوجّع

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة ۞ على النّفس من وقع الحسام المهنّد

وفي النّفس حاجات وفيك فطانة ۞ سكوتي بيان عندها وخطاب

ستبدي لك الأيّام ما كنت جاهلا ۞ ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له ۞ بتاتًا ولم تضرب له وقت موعد

قال صفي الدِّين الحلي :

كن عن همومك معرضا ۞ وكِلِ الأمورَ إلى القضا

وابشر بخير عاجل ۞ تنسى به ما قد مضى

فلربّ أمر مسخط ۞ لك في عواقبه رضا

ولربّما اتّسع المضيق ۞ ولربّما ضاق الفضا

اللّه يفعل ما يشاء ۞ فلا تكن متعرّضا

اللّه عوّدك الجميل ۞ فقس على ما قد مضى

۞۞۞

تقول العرب : إنَّ الزواج من بنات العمّ القريب يضعف النّسل ويضوي

قال أحدهم في مدح صاحب له :

فتى لم تلده بنت عمّ ۞ فيضوي كما يضوي رديد الأقارب

وقال آخر لولده :

لقد كفيتك الضّؤولة واخترت لك الخُؤولة .

وقال شاعرهم :

أنذرت من كان بعيد الهمّ ۞ تزويج أولاد بنات العمّ
ليس بناج مِنْ ضَوى أو سُقْمِ ۞ وأنت إن أطعمته لا ينمي

ويقول الأنطاكيّ : لم ترد العرب بهذا إلاّ نقص الذّهن والعقل ، لأنّها لو كانت أرادت نقصًا في الجسم لكانت مخطئة .

۞۞۞

عجائب الدّهر وتقلاباته

قال البارودي :[1]

هَلْ بالحِمَى عن سرير الملك من يَزَعُ ؟ ۞ هيهات قد ذهب المتبوع والتّبع

هذي الجزيرة فانظر هل ترى أحدا ۞ ينأى به الخوف ، أو يدنو به الطّمع

أضحت خلاء وكانت قبلُ منزلةً ۞ للملك ، منها لوفد العز مُرْتَبَعُ

فلا مجيب يردّ القول عن نبإ ۞ ولا سميع إذا ناديت يستمع

كانت منازل أملاك إذا صدعوا ۞ بالأمر كادت قلوب النّاس تنصدع

عاشوا بها حِقْبَةً ، حتّى إذا نهضت ۞ طيرُ الحوادث من أوكارها وقعوا

لو أنّهم علموا مقدار ما فغرت ۞ به الحوادث ، ما شادوا ولا رفعوا

دارت عليهم رَحَى الأيّامِ فانْشَعَبُوا ۞ أيدي سبا ، وتخلّت عنهم الشِّيَعُ

كانت لهم عُصُبٌ يستدفعون بها ۞ كيدَ العدوّ ، فما ضَرُّوا ولا نفعوا

أين المعاقل ، بل أين الجحافل بل ۞ أين المُنَاصِلُ ، والْخَطِّية الشُّرَعُ

لا شيء يدفع كيدَ الدّهرِ إن عصفت ۞ أحداثه أو يقي من شرّ ما يقع

زالوا فما بكت الدُّنيا لفرقتهم ۞ ولا تعطّلت الأعياد والجمع

الدّهر كالبحر لا ينفكّ ذا كدر ۞ وإنّما صفوه بين الورى لمع

لو كان للمرء فكر في عواقبه ۞ ما شان أخلاقه حرص ولا طبع

وكيف يدرك ما في الغيب من حدث ۞ من لم يزل بغرور العيش ينخدع

دهر يغرّ ، وآمال تسرّ وأعمار ۞ تمرّ وأيّام لها خدع

---

(١) ديوان البارودي : ٢/٢٦١ .

يسعى الفتى لأمور قد تضرّ به ۞ وليس يعلم ما يأتي وما يدع
يا أيّها السّادر المزور من صلف ۞ مهلا فإنّك بالأيّام منخدع
دع ما يريب ، وخذ فيما خلقت له ۞ لعلّ قلبك بالإيمان ينتفع
إنّ الحياة لثوب سوف نخلعه ۞ وكلّ ثوب إذا ما رثّ ينخلع

وقال أيضًا :

سل الجيزة الفيحاء عن هرمي مصر ۞ لعلّك تدري غيب ما لم تكن تدري
بناءان ردّا صولة الدّهر عنهما ۞ ومن عجب أن يغلبا صولة الدّهر
أقاما على رغم الخطوب ليشهدا ۞ لبانيهما بين البرية بالفخر
فكم أمم في الدّهر بادت ، وأعصر ۞ خلت ، وهما أعجوبة العين والفكر
تلوح لآثار العقول عليهما ۞ أساطير لا تنفكّ تتلى إلى الحشر
رموز لو استطلعت مكنون سرّها ۞ لأبصرت مجموع الخلائق في سطر
فما من بناء كان ، أو هو كائن ۞ يدانيهما عند التأمّل والخبر
يقصر حسنًا عنهما ، صرح بابل ۞ ويعترف الإيوان بالعجز والبهر
فلو أنّ هاروت انتحى مرصديهما ۞ لألقى مقاليد الكهانة والسّحر
كأنهما ثديان فاضا بدرّة ۞ من النّيل تروي غلّة الأرض إذ تجري
وبينهما ((بلهيب)) في زيّ رابض ۞ أكبّ على الكفّين منه على الصّدر
يقلّب نحو الشّرق نظرة وامق ۞ كأنّ له شوقًا إلى مطلع الفجر
مصانع فيها للعلوم غوامض ۞ تدلّ على أنّ ابن آدم ذو قدر
رسا أصلها واشتدّ في الجوّ فرعها ۞ فأصبح وكرًا للسماكين والنّسْرِ

قال الرّصافي (١) :

إنّي ابتليت بقوم يَبْعَرُون على ۞ أعقابهم وإذا عنَّفْتَهم ثلطوا
شطوا بأقوالهم حتّى لقد غضبوا ۞ إذ قلتُ يا قومُ في اقوالكم شَطَطُ
وبدِّلوا القول إن صحّت عزائمكم ۞ فعلا وإلاّ فإنّي يائس قَنِطُ
قد حرت في الأمر إنّي حين أُسْخِطُهم ۞ يرضون عنّي وإن أرضيتهم سَخِطُوا
فاز الّذي كان في أحواله وسطا ۞ فالمرّ يُعْقَى وإنّ الحلو يُسْتَرَطُ
قل للأعاريب قد هانت مكارمكم ۞ حتّى ادّعاها أناس كلّهم نَبَطُ
بَرِئْتُ للعُرب العرباء من فئة ۞ يُنْمَون للعرب إلاّ أنّهم سَقَطُ
أين المكارمُ إن هم أصبحوا عَرَبًا ۞ فإنّها في طباع العرب تُشْتَرَطُ
إن يغمطوني لأني جئت أُنهضهم ۞ فأيَّ مستنهض ذي نجدة غمطوا
هم كالضفادع فاسمعهم إذا رَطَنُوا ۞ فما هنالك إلاّ اللّغو واللّغط
يستنثرون صَغَاراً من مَعَاطسهم ۞ ولا يبالون أَنْ بالوا وأَنْ ضَرَطُوا
العار يرحل معهم أينما رَحَلُوا ۞ والخزي يهبط معهم أينما هبطوا
من كلّ أشوه لاحت من مغامزه ۞ في وجه كلّ حياة حوله نُقَطُ
قد رثّ عرضا وإن جدت مآزره ۞ من كلّ مخزية في وجهه شَرَطُ
تراه يَشْخَر عند الأكل من جشع ۞ كأنّما هو عند الأكل يمتخط
النّاس كالخطّ لا تقرأ لئامهمُ ۞ فاشطب عليهم بنعل إنَّهُم غَلَطُ

۞۞۞

---

(١) ديوان الرّصافي ، ص٣٩٨ .

قال سعيد بن حميد[1] :

أقلل عتابك فالبقاء قليل ۞ والدّهر يعدل مرّة ويميل
لم ابك من زمن ذممت صروفه ۞ إلاّ بكيت عليه حين يزول
ولكلّ نائبة ألّمت فرجةُ ۞ ولكلّ حال أقبلت تحويل
والمنتمون إلى الصّفاء جماعة ۞ إن حصّلوا أفناهم التّحصيل
وأجل أسباب المنيّة والرّدى ۞ يومٌ سيقطع بيننا ويحول
فلئن سبقتَ لتُفْجَعَنَّ بصاحب ۞ حبل الصفاء بحبله موصول
ولعلّ أيّام البقاء قليلةُ ۞ فعلام يكثر عَتبنا ويطول

قال محمَّد بن إسماعيل الأمير[2] :

سلام على أهل الحديث فإنّني ۞ نشأت على حبّ الأحاديث من مهدي
هم بذلوا في حفظ سنّة أحمد ۞ وتنقيحها من جهدهم غاية الجهد
وأعني بهم أسلاف أمّة أحمد ۞ أولئك في بيت القصيد هم قصدي
أولئك أمثال البخاريّ ومسلم ۞ وأحمد أهل الجدّ في العلم والجدّ
بحور وحاشاهم عن الجزر إنّما ۞ لهم مدد يأتي من اللّه بالمدّ
رووا وارتووا من بحر علم محمَّد ۞ وليست لهم تلك المذاهب من ورد
كفاهم كتاب اللّه والسنّة الّتي ۞ كفت قبلهم صحب الرّسول ذوي المجد

---

(١) جواهر الأدب : ٢/٣٧٠ .

(٢) نقلاً من ديوان الأمير الصّنعاني ، ص١٣٠ - ١٣١ .

أأنتم بأهدى أم صحابة أحمد ۞ وأهل الكسا هيهات ما الشّوك كالورد

أولئك أهدى في الطّريقة منكم ۞ فهم قدوتي حتّى أوسّد في لحدي

وشتّان ما بين المقلّد في الهدى ۞ ومن يقتدي والضدّ يعرف بالضدّ

۞۞۞

ما يدوم للميّت من العمل بعد موته

قال السيّد محمَّد بن إسماعيل الصّنعاني [1] :

يجرى لمن قد حلّ في لحده ۞ أجور عشر عدّها المصطفى

الولد الصّالح ، يدعو له ۞ وعلمه النّافع بين الورى

أو صدقات قد جرت أو قضى ۞ مرابطًا أو مسجداً قد بنى

أو مسكنًا لابن سبيل ومن ۞ لمصحف ورّث لما نوى

وغرسه النّخل وإجرائه ۞ نهراً وبئر حفرت في الثّرى

وسنّة أحسن في بثّها ۞ فهذه عشر أتت لا سوى

(١) نقلاً من ديوانه ، ص١٥ ، ١٦ .

قال أميّة بن أبي الصّلت الجاهليّ [(١)] :

غَذوتُكَ مولوداً وَعُلْتُكَ يافعًا ۞ تُعَلُّ بما أُدْني إليكَ وتنهلُ
إذا ليلةٌ نَابَتْكَ بالشكوِ لم أَبِتْ ۞ لشكواكَ إلاّ ساهراً أتململُ
كأنّي أنا المطروقُ دونَكَ بالذي ۞ طُرِقْتَ به دوني ، وعينيّ تَهْمِلُ
تخافُ الرّدى نفسي عليكَ ، وإنها ۞ لتعلمُ أنّ الموتَ حتمٌ مُؤجّلُ
فلمّا بَلَغْتَ السنَّ والغايةَ الّتي ۞ إليها مدى ما كنتُ فيكَ أُؤَمّلُ
جَعَلْتَ جزائي منكَ جَبْهًا وغِلْظَةً ۞ كأنّكَ أنتَ المنعمُ المتفضّلُ
فليتك إذا لم ترعَ حقَّ أبوّتي ۞ فعلتَ كما الجارُ المجاورُ يفعلُ
وسمّيتني باسمِ المُفَنّدِ رأيُهُ ۞ وفي رأيكَ التّفنيدُ لو كنتَ تَعْقِلُ
تراهُ مُعَدّاً للخلافِ كأنّهُ ۞ بِرَدٍ على أهلِ الصّوابِ مُوَكّلُ

قال شيخ الإسلام محمَّد بن عليّ الشّوكانيّ ـ رحمه الله ـ في ديوانه :

إذا كنت في دنياك والدِّين تابعا ۞ لهدي ختام الأنبياء محمَّد
وعاملت مولاك الكريم بما أتى ۞ به الذِّكر أو صحّ من كلّ مسند
وألغيت رأيًا خالفته رواية ۞ جهاراً ولم تحفل بقول المفنّد
فأنت على الحقّ المنير وإن أبى ۞ مقالك جهلاً كلّ فدم مبلد

(١) نقلاً من كتاب جواهر الأدب ، ص٣٦٩ .

وقال أيضًا :

إذا كنت في علم الأصول موافقًا ۞ بعقلك قول الأشعريّ المسدّد
وعاملت مولاك الكريم مخالصًا ۞ بقول الإمام الشّافعيّ المؤيّد
وأتقنت صرف ابن العلاء مجوّدا ۞ ولم تعد في الإعراب رأي المُبرّد
فأنت على الحقّ المبين موافق ۞ شريعة خير المرسلين محمَّد

قال بعض العلماء في الرّضاعة :

وينتشر التّحريم من مرضع إلى ۞ أصول فصول والحواشي من الوسط
وممّن له درّ إلى هذه ومن ۞ رضيع إلى ما كان من فرعه فقط

قال بعض العلماء :

إنَّ الولائم عشرة مع واحد ۞ من عدّها قد عزّ في أقرانه
فالخرس عند نفاسها وعقيقة ۞ للطّفل والإعذار عند ختانه
ولحفظ قرآن وآداب لقد ۞ قالوا الحذاق لحذقه وبيانه
ثُمَّ الملاك لعقده ووليمة ۞ في عرسه فاحرص على إعلانه
وكذاك مأدبة بلا سبب ترى ۞ ووكير لبنائه لمكانه
ونقيعة لقدومه ووضيمة ۞ لمصيبة وتكون من جيرانه

وقال الكمال ابن أبي شريف في الإسعاد :

أسامي الطّعام اثنان من بعد عشرة ۞ سأسردها مقرونة ببيان
وليمة عرس ثُمَّ خرس ولادة ۞ عقيقة مولود وكيرة باني
وضيمة ذي موت نقيعة قادم ۞ عذيرة أو اعذار يوم ختان
ومأدبة الخلاّن لا سبب لها ۞ حذاق صغير عند ختم لقرآن
وعاشرها في النّظم تحفة زائر ۞ قرى لضيف مع نزل به بقرآن

قال بعض العلماء :

شروط الإسلام بلا اشتباهِ ۞ عقل بلوغ عدم الإكراه
والنّطق بالشّهادتين والولا ۞ والسّادس التّرتيب فاعلم واعقلا

وقال غيره في عدد الرّسل :

حتم على كلّ ذي التّكليف معرفة ۞ بأنبياء على التّفصيل قد علموا
في تلك حجّتنا منهم ثمانية ۞ من بعد عشر ويبقى سبعة وهمُ
إدريس هود شعيب صالح وكذا ۞ ذو الكفل آدم بالمختار قد خُتِمُوا

لا تقطعَنْ عادة الإحسان عن أحد ۞ ما دام يمكن في الإمكان تارات
واشكر صنائع لطف اللّه إذ جعلت ۞ إليك لا لك عند النّاسِ حاجات

من آداب التّعلّم

قال الشّاعر[١] :

مـا حـوى العلـم جميعًـا أحـد ۞ لا ولـو مارسـه ألـف سُنة
إنّمـا العلـم بعيـد غـوره ۞ فخـذوا مـن كـلّ علـم أحسنه

وقال آخر[٢] :

احـرص علـى كـلّ علم تبلـغ الأمـلا ۞ ولا تموتـنّ بعلـم واحـد كسـلا
النّحـل لمـا رعـت مـن كـلّ فاكهـة ۞ أبدت لنا الجوهرين الشّمع والعسلا
الشّمع في الليـل ضـوء يستضاء بـه ۞ والشّـهد يـرى بـإذن البـارئ العـلا

[٣] مـن يـأخذ العلـم عـن شـيخ مشـافهة ۞ يكـن مـن الزّيـغ والتّحريـف في حـرم
ومـن يكـن آخـذاً للعلـم عـن صحـف ۞ فعلمـه عنـد أهـل العلـم كـالعدم

[٤] أمدّعيًـا علمًـا وليـس بقـارئ ۞ كتابًـا علـى شـيخ بـه يسـهل الحـزن

---

(١) نقلاً من كتاب الفوائد المكيّة ، للسيّد علوي بن أحمد السقّاف ، ص٩ .
(٢) المرجع السّابق ، ص٩ .
(٣) المرجع السّابق ، ص٢١ .
(٤) المرجع السّابق ، ص٢١ .

أتزعم أنّ الذّهن يوضح مشكلا ۞ بلا مخبر تاللّه قد كذب الذّهن
وإنّ ابتغاء العلم دون معلّم ۞ كموقد مصباح وليس له دهن

(١) يظنّ المرء أنّ الكتب تجدي ۞ أخا فهم لأدراك العلوم
وما يدري الجهول بأنّ فيها ۞ غوامض حيّرت عقل الفهيم
إذا رمت العلوم بغير شيخ ۞ ضللت عن الصّراط المستقيم
وتلتبس الأمور عليك حتّى ۞ تصير أضلّ من توما الحكيم

وقال الإمام الشّافعيّ :

علمي معي حيث يمّمت يتبعني ۞ قلبي وعاء له لا بطن صندوقي
إن كنت في البيت كان علمي في البيت ۞ وإن رحت للسّوق كان علمي في السّوق

ضوابط علميّة

وقال العلاّمة الباجوري [٢] :

ألا إنّما القرآن تسعة أحرف ۞ سأنبكها في بيت شعر بلا خلل
حلال حرام محكم متشابه ۞ بشير نذير قصّة عظة مثل

---

(١) الفوائد المكيّة ، للسيّد علوي بن أحمد السقّاف ، ص٢١ ، ٢٢ .

(٢) المرجع السّابق ، ص١٠ .

(١) عمـدة الدِّيـن عندنـا كلمـات ۞ أربـع قـالهنّ خـير البريـة
اتّـق الشّـبهات وازهـد ودع ۞ مـا ليـس يعينـك واعملـن بنيـه

(٢) إذا لم تكـن حافظًـا واعيـا ۞ فجمعـك للكتـب لا ينفـع
أتحضـر بـالجهل في مجلـس ۞ وعلمـك في الكتـب مسـتودع

قال الإمام الشّافعيّ[٣] :

شـكوت إلى وكيـع سـوء حفظـي ۞ فأرشـدني إلى تـرك المعـاصي
وأخـبرني بـأنّ العلـم نـور ۞ ونـور اللّـه لا يهـدى لعـاصي

(٤) خمـس محـرّرة قواعـد مذهـب ۞ للشّـافعيّ بهـا تكـون خبـيرا
ضـرر يـزال وعـادة قـد حكمـت ۞ وكـذا المشـقّة تجلـب التّيسـيرا
والشـكّ لا ترفـع بـه متيقّنـا ۞ والنّيّـة أخلـص إن أردت أجـورا

وقال بعض العلماء :

وواجـبٌ بَذْلُـكَ للمـا الفـاضلِ ۞ لحرمـة الـرّوح بـلا مقـابلِ

---

(١) المرجع السّابق ، ص١١ .
(٢) المرجع السّابق ، ص١١ .
(٣) المرجع السّابق ، ص١١ .
(٤) المرجع السّابق ، ص١٢ .

إن كان في بئر ونحوها وثمّ ۞ كَلأٌ مباحٌ قد رعاه المحترم
ولم يكن ماء مباح والضّرر ۞ قد انتفى من صاحب الما في الشّجر

وما شيء بأثقل وهو حقّ ۞ على الأعناق من منن الرِّجال
فلا تفرح بشيء تشتريه ۞ بوجهك إنّه بالوجه غالي

قال أبو عبد اللّه بن محمَّد اللّخميّ الأندلسيّ [1] :

يا ليت شعري هل تطول حياتي ۞ حتَّى أرى هذا الزّمان الآتي
يا ربِّ إن قدرت لي ببلوغه ۞ فاجعله عصراً بالسّرور مُواتي
وإن انقضت أيّام عمري قبله ۞ فاجعل على ما ترتضيه مماتي
لا شيء للدّنيا وللأخرى معا ۞ أرجو إذا ضاقت عليّ جهاتي
إلاّ يقيني أنّ جودك فوق ما ۞ يرجى وأنّك غافر الزلاّتِ

قال شمس الدِّين أبي عليّ القالي [2] :

قل للذّي بصروف الدّهر عيّرنا ۞ هل حارب الدّهر إلاّ من له خطر
أما ترى البحر تطفو فوقه جيف ۞ ويستقرّ بأقصى قعره الدّرر

---

(١) نقلاً من كتاب أزهار الرِّياض : ٢/٣٤٦ .
(٢) نقلاً من كتاب السّلوك ، للمقريزي : جـ١ ، قسم ٢ ، ص٢٩١ .

وإن تكن عبثت أيدي الزّمان بنا ۞ وما مسّنا من تمادى بؤسه ضرر
ففي السّماء نجوم لا عداد لها ۞ وليس يكسف إلاّ الشّمس والقمر

وزاد فيها الرّشيد النّابكيّ بقوله :

وكم على الأرض من خضراء مورقة ۞ وليس يُرجم إلاّ ماله ثمر
أنا مشتاق إلى رؤيتكم ۞ يا أخلائي وسمعي والبصر
كيف أنساكم وقلبي عندكم ۞ حالَ في ما بيننا هذا المطرُ

(١) رأيت الحال في الدُّنيا تدور ۞ فيصبح كابراً فيها الصّغير
ويفنى المال عند غنّي قوم ۞ ويغنى بعد مسغبة فقير
صروف ليس يعرف ما مداها ۞ يقدّرها ويصنعها القدير
فلا يغررك جاه أو ثراء ۞ فإنّ الحال في الدُّنيا تدور

(٢) حياتك سفر أنت تملي سطوره ۞ بما أنت تأتيه من الخير والشرّ
فإن كان خيراً باليمين أخذته ۞ وإن كانت اليسرى فويلك من نكر
ومن لازم التّقوى أضاءت دروبه ۞ ومن يبذل الحسنى فبشّره باليسر
فسطّر بما ترضى كتابك واصطنع ۞ صنائع معروف تقودك للبرّ

---

(١) رباعيّات محمّد عليّ مغربي ، ص١٩٩ .

(٢) رباعيّات محمّد عليّ مغربي ، ص١٩٥ .

عودٌ على منهل العلم

قال بعض العلماء :

مع العلم فاسلك حيثما سلك العلم ۞ وعنه فكاشف كلّ من عنده فهم
ففيه جلاء للقلوب من العمى ۞ وعون على الدِّين الَّذي أمره حتم
فإنّي رأيت الجهل يزري بأهله ۞ وذو العلم في الأقوام يرفعه العلم
يعدّ كبير القوم وهو صغيرهم ۞ وينفذ منه فيهم القول والحكم
وأيّ رجاء في امرئ شاب رأسه ۞ وأفنى سنيه وهو مستعجم فدم
يروح ويغدو الدّهر صاحب بطنة ۞ تركب في أحضانها الشّحم واللحم
إذا سئل المسكين عن أمر دينه ۞ بدت رحضاء العيّ في وجهه تسمو
وهل أبصرت عيناك أقبح منظر ۞ من أشيب لا علم لديه ولا حكم
هي السوءة السوءاء فاحذر شماتها ۞ فأوّلها خزي وآخرها ذمّ
فخالط رواة العلم واصحب خيارهم ۞ فصحبتهم زين وخلطتهم غنم
ولا تعدون عيناك عنهم فإنّهم ۞ نجوم إذا ما غاب نجم بدا نجم
فواللّه لولا العلم ما اتّضح الهدى ۞ ولا لاح من غيب الأمور لنا رسم

فروع اللّغة العربيّة

خذ نظم آداب تضوع نشرها ۞ فطوبى شذى المنشور حيث تضوع
لغة وصرف واشتقاق نحوها ۞ علم المعاني بالبيان بديع
وعروض قافية وإنشاء نظمها ۞ وكتابة التّاريخ ليس يضيع

وقال بعضهم :

نحـو وصـرف عـروض ثُـمَّ قافيـة ۞ وبعدهـا لغـة قـرض وإنشـاء
خـطّ بيـان معـان مـع محـاضرة ۞ والاشـتقاق لهـا الآداب أسمـاء

يريد أنّ هذه العلوم تسمّى علوم الأدب .

وهنا إرشاد لمن يستخرج كلمة من القاموس المحيط

إذا رمـت في القـاموس كشـفًا للفظـة ۞ فآخرهـا للبـاب والبـدء للفصـل
ولا تعتـبر في بدئهـا وأخيرهـا ۞ مزيـداً ولكـن اعتبـارك للأصـل

في رموز القاموس

وما فيـه مـن رمـز فخمسة أحـرف ۞ فميـم لمعـروف وعـين لموضـع
وجيـم لجمـع ثُـمَّ هـاء لقريـة ۞ وللبلـد الـدال الَّـتي أهملـت فـع

مصطلحات كتاب الصّحاح

إذا رمـت كشـفًا في الصّحـاح للفظـة ۞ فآخرهـا للبـاب والبـدء للفصـل
ولا تعتمـد في بدئهـا وأخيرهـا ۞ مزيـداً ولكـن اعتمـادك للأصـل

كتاب مغني اللّبيب

ألا إنّما مغني اللّبيب مصنَّف ۞ جليل به النّحويّ يحوي أمانيه

فما هو إلاّ جنّة قد تزخرفت ۞ أما تنظر الأبواب فيه ثمانيه

وقال آخر :

كن عالمًا أخبار من عاش وانقضى ۞ وكن ذا اعتبار واغتنم أطيب العمر

قال أحدهم :

وما هذه الأيّام إلاّ صحائف ۞ تؤرّخ فيها ثُمَّ تمحى وتمحق

وأعجب شيء أنَّ دائرة المنى ۞ تُوَسِّعُها الآمال والعمر ضيّق

غدًا أغدو إلى ربّي ۞ بروح المولع الصبّ

أقول له هناك هل ۞ ستقبلني على عيبي

وأنت الرّاحم الرَّحمن ۞ ويا جاهي ويا حسبي

ويذكرني الَّذي خلّفت ۞ من عِلْمِيَ ومن كتبي

ولم أمنن بها ولكن ۞ مآثر كنّ في ركب

خاتمة

أمــوت وتَبْلَـى أعظمـي في المقــابر ۞ وسـوف أُرى مـا قـد حوتـه دفـاتري

فرمت ادّخاراً بعد موتي من الدّعـا ۞ وأبقيـت تذكـاراً نتــاج خواطـري

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمَّد ، وعلى آله وصحبّه ، ومن تبعه ، والحمد لله ربّ العالمين .

۞۞۞

فهرس الموضوعات

الموضوع صحيفة

تسبيحات ابن عاصم ٢٣

قال محمَّد بن إسماعيل الأمير ٢٩

ابتهالات وتوجّه إلى ربّ العالمين ٣٠

شكوى ومناجاة إلى ربِّ العالمين ٣٢

في مدح الرَّسول ﷺ وآله ، وذكر بعض معجزاته ٤٢

في الجهاد والتحذير من الأعداء ٤٦

الافتخار بالسّلف الأول ٥١

في الفخر والحماسة ٥٤

قال أبو تمّام ٥٧

كأنّ الشّرق ليس له فم ٥٨

اللّغة العربيّة ٨٧

ما جاء في الغِنَى ، والفقر ، وكتم حاجات النّفس ٩٠

ذم الدنيا والاغترار بها ٩٣

حكم الدّهر وباطل الدُّنيا ٩٤

محاسن الأخلاق ومساوئها ٩٥

مضار الحسد ٩٦

ما جاء في التأني والصّبر ، والتوكّل على اللّه ٩٨

التوكّل على الله ١٠٢

الجود والكرم ، وما جاء في البخل ١٠٣

بخل فاحش ١٠٧

ما قيل في المدح ١٠٨

في مدح حالة البادية ١٠٩

ما قيل في الشّيخوخة ، والكِبَر ، والشّيب ، وانتهاء الأجل ١١٤

علامة الكِبَرِ ١١٩

المراثي ١٢٠

ما جاء في الحزن والفراق ١٢٤

ممّا قيل في الحزن على البنات ١٢٤

في الحِكَمِ والمِلَحِ ١٢٦

ممّا قيل في اللّسان ١٢٦

الاحتراز من النِّساء ١٣٦

قال شيخ من الأعراب في عجوز : ١٣٦

سرور الشّخص بين أهله ١٣٧

منثورات ، وحكم

ما جاء في حبّ الأوطان ١٣٠

منثورات، وحكم

ممّا قيل في الدّراهم

منثورات، وحكم

مضار القات الَّذي يمضغه أهل اليمن ١٤٦

منثورات ، وحكم

عجائب الدهر وتقلاباته ١٧٠

مدح أهل الحديث ١٣٠

ما يدوم للميّت من العمل بعد موته ١٧٤

منثورات ، وحكم

من آداب التّعلم ١٧٨

عودٌ على منهل العلم ١٨٣

فروع اللّغة العربيّة ١٨٣

❁❁❁

فهرس الموضوعات

مرتبة على أوائل القصائد

إصدارات لجنة المطبوعات بالتنشيط السياحي بمحافظة الطائف

صدرت عن لجنة المطبوعات المنبثقة عن اللجنة العامة للتنشيط السياحي بمحافظة الطائف ؛ من عام ١٤٠٩هـ ؛ حتى صدور هذا الكتاب ؛ المطبوعات التالية :

١ـ الطائف في مرآة الشعر (طبعتان) ٠
٢ـ الطائف في مرآة النثر ٠
٣ـ قصر شبرا التاريخي (طبعتان) ٠
٤ـ الطائف ٠٠ عروس في ألف حديقة (عربي ـ إنجليزي) ٠
٥ـ علم الفلك ٠٠ والتقويم الزراعي عند ابن عميرة ٠
٦ـ لطائف الطائف ٠٠ شعر نبطي للشاعر محمد بن سعيد الذويبي ٠
٧ـ الطائف القديمة أو (بقايا الأمس) صور توثيقية لعمران الطائف القديم ـ تصوير الأستاذ حماد بن حامد السالمي (كتالوج كبير) ٠ (طبعتان)
٨ـ هذا الفهد ٠٠ لا غابت الشمس ما غاب ٠٠ شعر نبطي للشاعر : محمد بن سعيد الذويبي ٠
٩ـ الطائف الحلوة ٠٠ قصيدة شعرية للأستاذ الدكتور : يوسف عز الدين ٠
١٠ـ تقاويم مكتبية وحائطية سنوية مصورة من الطائف ٠
١١ـ خرائط توضيحية مصورة (عربي ـ إنجليزي) ٠
١٢ـ مطبوعات خدمية للبرامج والمعارض ٠
١٣ـ صور سياحية من أنحاء الطائف (٤٠ ألف صورة في عامين) تصوير حمّاد بن حامد السالمي ٠
١٤ـ (الطائف مصيفنا) فيلم إعلامي وثائقي (تحت التنفيذ) ٠
١٥ـ النقوش العربية المبكرة في منطقة الطائف ٠٠ الجزء الثاني ، القسم الأول للدكتور : ناصر الحارثي ٠
١٦ـ ٧ سنوات في عمر التنشيط السياحي للأستاذ : عدنان المهنا ٠

١٧ـ دليل الصائف إلى متنزهات الطائف للأستاذ : عبد العزيز الزهراني .
١٨ـ جولة حول ربوع بلادي .. شعر نبطي للشاعر محمد سعيد الذويبي .
١٩ـ الطائف .. الخضرة والماء والجو الحسن .. (كتاب إعلامي باللغتين العربية والإنجليزية) .
٢٠ـ الطائف غداً .. كتاب إعلامي باللغتين العربية والإنجليزية .
٢١ـ ثراء الآثار في منطقة الطائف ـ كتاب توثيقي مصور ؛ (كتالوج كبير) بالعربية والإنجليزية . تأليف وتصوير الأستاذ : حمّاد بن حامد السالمي . (ثلاث طبعات)
٢٢ـ موسوعة الآثار الإسلامية في محافظة الطائف ـ د . ناصر ابن علي الحارثي .
٢٣ـ الطائف وبقايا الأمس ـ للدكتور : عدنان المهنا .
٢٤ـ التحضر في مدينة الطائف ـ د : حمد الزيد .
٢٥ـ عثمان بن عبد الرحمن المضايفي أمير الطائف والحجاز في الدولة السعودية الأولى . د/ إبراهيم بن محمد الزيد .
٢٦ـ الحركة الكشفية في منطقة الطائف بداياتها ودورها في رعاية الشباب وخدمة الوطن . تأليف : حسن بن حسن العبادي .
٢٧ـ الفن التشكيلي في الطائف بداياته ومناهجه التطبيقية إعداد : حمّاد الجعيد ، وسعود النفيعي .
٢٨ـ تاريخ الأوقاف بمحافظة الطائف ـ للشيخ : محمد الطيب بن محمد يوسف اليوسف .
٢٩ـ السجل الذهبي للطائف . كتاب إعلامي توثيقي ، بالعربية والإنجليزية .
٣٠ ـ الشوق الطائف حول قطر الطائف . معجم موسوعي لما قيل في الطائف من شعر من العصر الجاهلي حتى اليوم . جمع ودراسة وتحقيق : حمّاد بن حامد السالمي .
٣١ ـ الطائف في عهد الملك عبد العزيز ـ تأليف

الشريف محمد ابن منصور آل عبد الله .
٣٢ ـ أعمال الملك عبد العزيز المعمارية في عشيرة شمالي الطائف .. (دراسة تاريخية أثرية) للدكتور / ناصر بن علي الحارثي . إصدار لجنة المطبوعات . الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ
٣٣ ـ الزيارة الميمونة لسمو نائب خادم الحرمين الشريفين إلى الطائف ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م ، (سجل توثيقي) جمع وإعداد حمّاد بن حامد السالمي ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م .
٣٤ ـ شخصية الطائف الشعرية ، للدكتور عالي بن سرحان القرشي ، الطبعة الأولى عام ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م .
٣٥ ـ الطائف في مئة عام (مباحث في التاريخ السياسي والعسكري والإداري والاجتماعي) ، تأليف : حمّاد بن حامد السالمي ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م .
٣٦ ـ المعجم الأثري لمحافظة الطائف . تأليف الدكتور ناصر ابن علي الحارثي . الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ .
٣٧ ـ الطائف .. العاصمة الصيفية للمملكة العربية السعودية . تأليف الدكتور : انجلو بسك . ترجمة وتعليق : الأستاذ الدكتور : يوسف بن علي بن رابع الثقفي . الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢ م .
٣٨ ـ سمات الطائف الحضارية في عهد خادم الحرمين الشريفين ، الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود . جمع وإعداد الأستاذ الدكتور : يوسف بن علي بن رابع الثقفي . الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢ م .
٣٩ـ المعجم الجغرافي لمحافظة الطائف . تأليف الأستاذ : حمّاد ابن حامد السالمي ، رئيس لجنة المطبوعات . ثلاثة مجلدات كبيرة . الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م . بيروت .
٤٠ـ ديوان المجرور الطائفي . تأليف الأستاذ : الشريف محمد بن منصور آل عبد الله . الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .

٤١- الطائف الميمون . قصيدة للشاعر : أ/ د يوسف بن علي بن رابع الثقفي .
٤٢- المعجم الأثري لمنطقة مكة المكرمة ؛ للأستاذ الدكتور / ناصر بن علي الحارثي . الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م . الطائف .
٤٣- الأمير عبد العزيز آل إبراهيم . تأليف الأستاذ الدكتور / إبراهيم بن محمد الزيد . الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م .
٤٤- عصارة القلم ؛ في ذكر الله وجوامع الحكم . تأليف الشيخ / محمد الطيب بن محمد اليوسف . الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .
٤٥- مطبوعات لجنة المطبوعات . ببلوغرافيا موجزة . إعداد محمد بن عيد الونيناني . الطائف ١٤١٦هـ .

هو فضيلة الأستاذ محمد الطيب بن محمد اليوسف ولد عام ١٣٣٧هـ الموافق ١٩١٩م ، وتلقى على والده مبادئ القراءة والكتابة ، ثم التحق بدور العلم وكان مجداً في دروسه ، ثم التحق بحلقات العلماء في المسجد الحرام ، ودرس فيها مختلف العلوم والفنون منها العقيدة السلفية ، والفقه ، والحديث النبوي ، واللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة ، ثم انتقل إلى ميدان الحياة العملية فعين عام ١٣٦٣هـ مرشداً وداعياً إلى الله في منطقة أبها ، ثم مديراً للمدرسة المنصورية بمحافظة تربه فأسسها ودرس فيها وأدارها ،ثم مديراً بمدرسة المثناة بالطائف ، ثم مديراً لمدرسة عبد الله بن عباس في الطائف وأسسها وقد أنشأ فيها مدرسة ليلية حكومية وهي أول مدرسة حكومية خصصت لمكافحة الأمية ، ثم موجهاً تربوياً للعلوم الدينية وللمكتبات ، ثم قاضياً بالمحكمة الكبرى بالطائف غرة عام ١٣٩٢هـ ومكث قاضياً في المحكمة الكبرى يخدم العدالة وينصف المظلومين حتى بلغ سنه سبعين عاماً وبلغت خدماته ستة وخمسين عاماً .

والشيخ متذوق للشعر يحفظ كثيراً منه وهذا الكتاب من ثمرات محفوظاته ، ويقتني عشرات الدواوين الشعرية ، كما هو مولع بالمطالعة واقتناء الكتب النادرة حتى صارت مكتبته من أكبر المكتبات المنزلية بالطائف ، ومنذ عشر سنوات مضت فتح بابها لطلاب العلم ليستفيدوا منها ولا زالت مفتوحة تستقبل طلاب العلم والراغبين في الاستفادة ، كما أنها ملتقى لكبار العلماء .

و له نشاط اجتماعي منه انه كان نائباً لوزير الأوقاف ورئيساً لمجلس الأوقاف الفرعي بمحافظة الطائف ، منها انه عضو مؤسس في جمعية تحفيظ القرآن الخيرية بمحافظة الطائف ، ولا زال عضواً في الجمعية العمومية فيها ، منها أنه عضواً في الهيئة الإدارية للجمعية الخيرية بالطائف ، ومنها انه كان عضواً في جماعة ندوة الشباب الإسلامي إلى غير ذلك .

المؤلف في سطور

هو فضيلة الأستاذ محمد الطيب بن محمد اليوسف ولد عام ١٣٣٧هـ الموافق ١٩١٩م ، وتلقى على والده مبادئ القراءة والكتابة ، ثم التحق بدور العلم وكان مجداً في دروسه ، ثم التحق بحلقات العلماء في المسجد الحرام ، ودرس فيها مختلف العلوم والفنون منها العقيدة السلفية ، والفقه ، والحديث النبوي ، واللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة ، ثم انتقل إلى ميدان الحياة العملية فعين عام ١٣٦٣هـ مرشداً وداعياً إلى الله في منطقة أبها ، ثم مديراً للمدرسة المنصورية بمحافظة تربه فأسسها ودرس فيها وأدارها ،ثم مديراً بمدرسة المثناة بالطائف ، ثم مديراً لمدرسة عبد الله بن عباس في الطائف وأسسها وقد أنشأ فيها مدرسة ليلية حكومية وهي أول مدرسة حكومية خصصت لمكافحة الأمية ، ثم موجهاً تربوياً للعلوم الدينية وللمكتبات ، ثم قاضياً بالمحكمة الكبرى بالطائف غرة عام ١٣٩٢هـ ومكث قاضياً في المحكمة الكبرى يخدم العدالة وينصف المظلومين حتى بلغ سنه سبعين عاماً وبلغت خدماته ستة وخمسين عاماً .

والشيخ متذوق للشعر يحفظ كثيراً منه وهذا الكتاب من ثمرات محفوظاته ، ويقتني عشرات الدواوين الشعرية ، كما هو مولع بالمطالعة واقتناء الكتب النادرة حتى صارت مكتبته من أكبر المكتبات المنزلية بالطائف ، ومنذ عشر سنوات مضت فتح بابها لطلاب العلم ليستفيدوا منها ولا زالت مفتوحة تستقبل طلاب العلم والراغبين في الاستفادة ، كما أنها ملتقى لكبار العلماء .

و له نشاط اجتماعي منه انه كان نائباً لوزير الأوقاف ورئيساً لمجلس الأوقاف الفرعي بمحافظة الطائف ، منها انه عضو مؤسس في جمعية تحفيظ القرآن الخيرية بمحافظة الطائف ، ولا زال عضواً في الجمعية العمومية فيها ، منها أنه عضواً في الهيئة الإدارية للجمعية الخيرية بالطائف ، ومنها انه كان عضواً في جماعة ندوة الشباب الإسلامي إلى غير ذلك .

يعود بسم الله الرحمن الرحيم عروس المصائف مرحباً باسم الطائف

تصـــــدير . . .

بقلم : معالي محافظ الطائف

رئيس اللجنة العليا للتنشيط السياحي

فهد بن عبد العزيز بن معمر

■ الحمد لله رب العالمين ؛ والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين ، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه ، والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ..

أما بعد :

■ فلا يخفى على القراء الكرام ؛ ما للشعر والحكم والأمثال ؛ من أهمية في حياة المجتمعات البشرية ، فهي بمثابة الدستور الشفهي ؛ الذي كان يضبط عاداتها وتقاليدها الاجتماعية .

■ ولقد حفظت لنا المصادر التاريخية والأدبية ؛ الكثير من مواد هذا الدستور ، وما لم تحفظه ؛ كان أعظم . ولما ظهر الإسلام ؛ لم يقف موقفاً مضاداً منه ، وبخاصة في الجانب المتعلق بالأخلاق والفضائل . لذا عني المسلمون بهذا الجانب عناية كبيرة ، فأفردوا له المؤلفات ، ولم يكن هذا الدستور الشفهي ليرى النور ؛ لولا ما سجلته أقلام أولئك العلماء قرناً بعد آخر .

■ ويأتي كتاب فضيلة الشيخ (محمد الطيب بن يوسف اليوسف) ؛ الذي نقدمه له في قائمة تلك المؤلفات التي عنيت بهذا الموضوع ، وهو أمر تحرص على توثيقه لجنة المطبوعات في اللجنة العامة للتنشيط السياحي في محافظة الطائف ، إدراكاً منها بأهميته في توثيق كثير مما يتداوله الناس في ميدان الحكم والأمثال ؛ شعراً ونثراً .

■ لقد صدر عن لجنة المطبوعات في اللجنة العامة للتنشيط السياحي بمحافظة الطائف ؛ عشرات الكتب ، التي تناولت تاريخ الطائف ، وآثارها ، وجغرافيتها ، وأدبها ، وعاداتها ، وتقاليدها ، وحرفها ، وصناعتها ، وفنونها ، ومظاهرها الحضارية ، وخاصة في العهد السعودي الزاهر ، والتي حظيت بتقدير كبير من المسئولين والباحثين والمهتمين .

■ ولم تكن هذه الإصدارات العلمية المهمة لترى النور ؛ لولا توفيق الله عز وجل ، ثم دعم ولاة الأمر في هذه البلاد ، وبمتابعة مباشرة من صاحبي السمو الملكي : الأمير (ماجد بن عبد العزيز آل سعود) رحمه الله ، أمير منطقة مكة المكرمة سابقاً ، ثم أميرها الحالي ؛ صاحب السمو الملكي الأمير : (عبد المجيد بن عبد العزيز آل سعود) ، حفظه الله . فجزى الله الجميع خير الجزاء .

■ كما لا يفوتني ؛ شكر لجنة المطبوعات في اللجنة العامة للتنشيط السياحي بالمحافظة ؛ وأخص بالذكر الأخوين الكريمين ؛ الأستاذ : (حمّاد بن حامد السالمي) رئيس اللجنة ، والأستاذ الدكتور (ناصر بن علي الحارثي) عضو اللجنة ؛ على ما بذلاه وما يبذلانه ؛ من جهود مباركة في اللجنة منذ تأسيسها عام ١٤٠٩هـ .

هذا .. وآخر دعوانا .. أن الحمد لله رب العالمين .

ردمك : ٥-٩-٩٣٨٣-٩٩٦٠

عروس المصائف الطائف

دار الحارثي للطباعة والنشر - الطائف - ت : ٧٣٢٣٤٧٤